جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

صورة الطبيب محمد مشالي في مرآة الشعر المعاصر

تجليات ودلالات في الأدب الإلكتروني

الدكتور

الريدي عبد الحفيظ عبد الرحمن حمدان

أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية البنات الإسلامية بأسيوط
جامعة الأزهر الشريف - جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

الجزء الرابع عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الطبيب محمد مشالي في مرآة الشعر المعاصر

تجليات ودلالات في الأدب الإلكتروني

الريدي عبد الحفيظ عبد الرحمن حمدان

قسم الأدب والنقد بكلية البنات الإسلامية بأسيوط ـ جامعة الأزهر الشريف ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : alreedyhamdan.78@azhar.edu.eg

الملخص

تفاعُل الشعراء المعاصرين مع النماذج الإنسانية المثالية عبر التِّقْنِيّات المستحدثة يأتي تأكيدًا لمواكبة الشعر للحياة، وانعكاسًا لثقافةٍ وقيمٍ راسخةٍ، تنطلق من الماضي لتتسق مع معطيات العصر، ومحافظة على الهوية والثقافة في ظل صراع الحضارات.

ومن ثَمّ جاءت هذه الدراسة لتناقش إشكالية مدى قدرة الشعر المعاصر على تصوير النماذج الإنسانية المثالية متجاوبة مع مستجدات عصر الرَّقْمَنَةِ، ولتجيب عن: هل تجلِّي المنجز الإبداع إلكترونيًّا يسدّ فجوات كانت فيه ورقيًّا؟ وهل يضيف بُعدًا جديدًا للمبدع والمتلقي؟ وذلك في ضوء عنوان: (صورة الطبيب محمد مشالي في مرآة الشعر المعاصر .. تجليات ودلالات في الأدب الإلكتروني).

الكلمات المفتاحية : الشعر المعاصر، الأدب الإلكتروني، الأدب الرقمي، الأدب التفاعلي، النقد التفاعلي، أيقونات التأثير، مؤثرات سمعية وبصرية، طبيب الغلابة.

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

١٤٢٥٦

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

The image of Doctor Muhammad Mashali in the mirror of contemporary poetry Manifestations and connotations in electronic literature

Alreedy Abdel Hafeez Abdel Rahman Hamdan
Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic Girls, Assiut, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: alreedyhamdan.78@azhar.edu.eg

Abstract

Contemporary poets' interaction with ideal human models through modern technologies comes as an affirmation of poetry's keeping pace with life, and a reflection of a culture and established values that stem from the past to be consistent with the times' data, and to preserve identity and culture in light of the clash of civilizations.

Hence, this study came to discuss the problematic extent of contemporary poetry's ability to portray ideal human models in response to the developments of the digitization era, and to answer the question: Does creativity manifest electronically to fill the gaps in it in paper? Does it add a new dimension to the creator and recipient? This is in light of the title: (The Image of Doctor Muhammad Mashali in the Mirror of Contemporary Poetry.. Manifestations and Connotations in Electronic Literature).

Keywords: Contemporary poetry, electronic literature, digital literature, interactive literature, interactive criticism, influence icons, audio-visual effects, Doctor Ghalaba.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حمداً لله يمتدّ، وصلاةً وسلاماً على نبيّنا محمد، وعلى الآل والصحب الكرام المحتد.

أما بعد..

فسيظل الشعر ديوان العرب، يسجّل ويخلّد الوقائع الكبرى والنماذج الإنسانية العظمى، وسيظل الشاعر قلب أمته النابض، وعقلها الأسرع استجابة للمؤثرات والأحداث، ولسانها المعبّر عن وجدان الأمة بحرارة الكلمة وصدق الإحساس.

وبتتبع المنجز الإبداعي للشعر المعاصر في التجاوب والتفاعل مع الأحداث التي تشغل الناس من خلال وسائل الإعلام، تجلّت صورة الطبيب محمد مشالي، الذي مكث نيّفًا وسبعين سنة لا يعرفه إلا أهل مدينته، ثم بين ليلة وضحاها صار ملء السمع والبصر عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ ليتصدر وَسْم (طبيب الغلابة) مواقع التواصل الاجتماعي، ومن ثَمّ تفاعل الشعراء مع هذا النموذج الإنساني، معبرين عن انفعالاتهم الصادقة عبر الوسيط الإلكتروني من خلال شبكة التواصل الاجتماعي (الفيسبوك Facebook)، و(اليوتيوب YouTube)، والمواقع الالكترونية للصحف والمجلات العربية، إذ لم تطبع في دواوين بعدُ حتى كتابة هذه السطور.

ومن ثمّ يأتي هذا البحث وعنوانه: (صورة الطبيب محمد مشالي في مرآة الشعر المعاصر .. تجليات ودلالات في الأدب الإلكتروني)؛ ليُعنى بدراسة أبعاد الرؤية، وملامح التشكيل الفني ودلالاته فيما كُتب شعرًا عن

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الطبيب الراحل مشالي، فضلا عن رصد أثر التجلّي الإلكتروني لهذا اللـــون الأدبيّ.

وقد استقر الهدف من هذه الدراسة على مناقشة إشـــكالية مـــدى قـــدرة الشعر المعاصر على تصوير النماذج الإنسانية المثالية متجاوبة مع مستجدات عصر الرَّقْمَنَةِ من جهة، ومن جهة أخرى، للإجابة على السؤال: هل تجلِّـــي المنجز الإبداعي إلكترونيًّا يسدّ فجوات النتاج الورقي؟ وهل يضيف بعدًا جديدًا للمبدع والمتلقي؟ وذلك في ضوء رصد تجلّيات صورة الطبيب الراحل محمد مشالي في مرآة الشعر المعاصر.

وقد آثرت مصطلح (الأدب الإلكتروني) لما بدا واضحًا من مجيء مادته (إلكترونيًّا) عبر الشاشة الزرقاء، على تعدد وترامي مواقعه، وكذلك لما رأيت من تشعّب الحركة النقدية بتوصيف هذا اللون الحديث من عرض الأدب تبعًا لاختلاف رؤى النقاد وثقافاتهم.

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مبحثين يَقْـــدُمُهُمَا مقدمـــة وتمهيـــد، ويعقبهما خاتمة، ثم فهرس للمصادر والمراجع.

أما المقدمة: فها هي ذي يُعرض فيها أهمية البحث، وإشكاليته، وخطته، ومنهجه، والدراسات السابقة.

وأما التمهيد: فيلقي الضوء على مرتكزين، أولهما: حياة الطبيب محمـــد مشالي، بما توفّر لديّ من إشارات صاغت شخصيته ومثاليته، وجاءت مقصدًا لوصف الشعراء. وثانيهما: تمظهر الأدب إلكترونيًّا .. المفهوم والألوان والبُعد الفني.

ثم المبحث الأول: ويتناول درسًا موضوعيًّا لتجلّيات الطبيب مشالي في عيون الشعراء المعاصرين، ملقيًا الضوء على ما تناوله الشعراء عنه.

ثم المبحث الثاني: ويكشف القناع عن سيمياء الأنساق المضمرة، والدلالات الفنية للظواهر الأسلوبية، واستلهام التراث، والعاطفة، ودلالات الإيقاع، وسمات البُعد الإلكتروني.

وأما الخاتمة: ففيها عرض ما تمخّض عنه البحث من نتائج وتوصيات، وذلك كلّه في إطار **منهجٍ تحليليٍّ** يُعنى بسبر أغوار النص ورصد دلالاته الموضوعية والفنية، ويعتمد على التفسير والنقد والاستنباط؛ إذ يقوم على تحليل المعطيات والمعلومات واستخلاص ما بها من دلالات، بما يتفق مع صعوبة جمع مادة البحث والتعريف بالشعراء[1]، مع أداء حق الهامش، وخدمة النصوص.

أما عن الدراسات السابقة، فتأتي هذه الدراسة وَصْلًا لكل درسٍ يسبقها في الأدب المتجلّي إلكترونيًّا، إلا أنها قد تحقق سبقًا في دراسة الشعر الذي يتخذ من الطبيب مشالي موضوعًا له وهدفًا.

والله أسأل التوفيق والسداد والهدى والرشاد، وبه أستعين؛ فإنه خير موفِّق وخير معين، وبإسعاف الطالبين قمين.

الباحث

---

(١) واجه البحث عقبات في جمع المادة وانتقائها، وكذلك التعريف بالشعراء، إذ ليس كل ما جاء من شعر عن الطبيب محمد مشالي يصلح للدرس والتحليل، فبعض القصائد قَعَدَتْ بها لغتها، أو قصّر عنها وزنها، وغير ذلك، مما يطعن في الشعر والأدب. أما التعريف بالشعراء فتمثلت صعوبته في كونهم معاصرين تعزوهم الشهرة وتتنادى بهم الأقطار، وقد اجتهدت في التواصل معهم، أو التوصل إلى سيرتهم وقصائدهم.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التمهيد

أولا: الطبيب محمد مشالي .. سطور من نور

محمد عبد الغفار مشالي، طبيب بشري مصري عرف بلقب (طبيب الغلابة)(١). وُلد في محافظة البحيرة عام ١٩٤٤م لأب يعمل مدرسا، ثم استقرت الأسرة في محافظة الغربية، وواصل محمد مراحل دراسته بتفوق، والتحق بكلية طب القصر العيني، وتخرج في ٥ يونيو ١٩٦٧م، وتوفي أبوه يوم تخرجه، فتكفل برعاية إخوته(٢)؛ لذلك تزوج متأخرا وأنجب ثلاثة أولاد، هم: عمرو (مهندس)، وهيثم (مهندس)، ووليد (تخرج في كلية التجارة ويعمل محاسبا)(٣).

تخصص الطبيب محمد مشالي في الأمراض الباطنة وطب الأطفال والحميات، وعمل في عدد من المراكز والوحدات الطبية بريف مصر، وتدرّج في المناصب، فشغل منصب مدير مستشفى الأمراض المتوطنة، ثم مديرا لمركز طبي (سعيد) في طنطا حتى بلوغه المعاش في ٢٠٠٤م، وكان له ثلاث عيادات، إحداها في مدينة طنطا، والأخريان في قريتين مجاورتين، وهاتان العيادتان جهزهما أهل القريتين تمسكا به؛ لما عرفوه عنه أيام عمله في الوحدة الصحية بالقريتين، وظل لسنوات طويلة محددًا قيمة كشفه الطبي في عياداته لا تزيد عن خمسة جنيهات مصرية، وزادت أخيرًا لتصل إلى

---

(١) يراجع: موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، رابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٢) يراجع: السابق، وحوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (سهرة مع) تقديم الإعلامية داليا العلايلي – قناة الدلتا، رابط الحلقة: https://www.youtube.com/watch?v=G6zkNsw2YnU، وحوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (باب الخلق) للإعلامي محمود سعد – على قناة النهار الفضائية، رابط الحلقة : https://www.youtube.com/watch?v=sjiQ93TJ1R8

(٣) يراجع: موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

عشرة جنيهات، وكثيرًا ما يرفض تقاضي قيمة الكشف من المرضى الفقراء، بل ويشتري لهم العلاج في كثير من الأحيان(١).

المؤثرات في شخصيته:

يروي الطبيب محمد مشالي أن والده كان موسوعي الثقافة، وهو الذي حببه في الاطلاع، وكان تأثيره فيه قويًّا، حتى أنه نزل على رغبة أبيه لدراسة الطب، وأوصاه أبوه يوم وفاته بألا يأخذ من فقير مريض حق الكشف، فكان والده أول المؤثرات في شخصيته، ولعله أقواها.

ومن المؤثرات، موقف الطفل الذي أحرق نفسه ليوفر ثمن علاجه لأخوته، أثّر فيه هذا الموقف وأصابه بالاكتئاب، كان هذا في بداية عمله، ويقول الطبيب الراحل: إنه منذ تلك الواقعة قرر أن يهب نفسه لخدمة الفقراء وعلاجهم.

ومنها، نشأته في أسرة فقيرة؛ لذا فهو يشعر بمعاناة الفقراء.

وكذلك: شغفه بالقراءة، فقد كان يقرأ نصف ساعة يوميا ويقول: إن القراءة علمته حب التأمل والعزيمة والمضي قدما في هدفه مهما كانت المعوقات(٢).

---

(١) يراجع: حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (سهرة مع) ، وحوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (باب الخلق) ، وموقع جريدة الوطن الإلكترونية، رابط: https://www.elwatannews.com/news/details/4976326 .

(٢) ما ذكر في هذه الجزئية من معلومات عن المؤثرات في شخصيته وردت في: حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامجي: (سهرة مع). وبرنامج (باب الخلق).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أخلاقه: كان رحمه الله تعالى متواضعا، زاهدا، عطوفا، محبا للفقراء، باذلا لهم كل طاقاته، فقد كان يعمل يوميا بلا إجازات، وكان يقول: "لو ارتحت أموت"(١)، ولا يهتم بشيء من التكنلوجيا الحديثة، فليس معه هاتف محمول، ويرتدي ساعة متواضعة، ويعلل ذلك قائلا: "أهمية الساعة معرفة الوقت كي لا يفوتني القطار، ويتساوى فيها الباهظة الثمن والزهيدة طالما تعمل بكفاءة"(٢)، كما كان لا يقصّر في مسئولية؛ فقد توفي أحد أخوته وترك صغارا، تكفّل بهم الطبيب مشالي حتى تخرجوا في الجامعة(٣).

وفاته: "تُوفي في صباح 28 يوليو 2020 م"(٤).

تكريمه: تقديرًا لجهوده أُطلق اسمه على أحد الشوارع في طنطا، وذلك بعد أن طالب سكان المحافظة بتكريمه(٥).

ونعاه شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب قائلا: "رحم الله طبيب الغلابة الدكتور محمد مشالي، وأسكنه فسيح جناته، فقد ضرب المثل في الإنسانية، وعلم يقيناً أن الدنيا دار فناء، فآثر مساندة الفقراء والمحتاجين والمرضى حتى في آخر أيام حياته، فاللهم اخلف عليه في دار الحق، وأنزله منزلة النبيين والصديقين والشهداء"(٦).

---

(١) حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (سهرة مع).

(٢) السابق.

(٣) يراجع: حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (زملكاوي) على قناة الزمالك – تقديم طارق يحيى – حلقة خاصة عن طبيب الغلابة – رابط الحلقة: https://www.youtube.com/watch?v=czw7ybApkH4.

(٤) موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، رابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٥) السابق.

(٦)موقع العربية نت، رابط:https://www.alarabiya.net/arab-and-world/egypt/2020/07/28.

ثانيا: تمظهر الأدب إلكترونيًّا .. المفهوم والأنماط والبُعد الفنيّ.

المقصود بالأدب الإلكتروني: هو النص الأدبي الذي يتجلّى من خلال جهاز إلكتروني (حاسوب، هواتف ذكية .. إلخ) سواء اتصل بالشبكة العنكبوتية (الإنترنت Internet) أو لم يتصل(١).

وهذا التجلّي إلكترونيًّا يأخذ مستويات عدة، منها:

- نص تجلّى عبر الوسيط الإلكتروني مكتوبا في أحد المواقع الإلكترونية، ولا تتيح هذه المواقع للمتلقين التعليق على النص، وهذا لا يختلف عن الأدب الورقي إلا في الوسيط فقط.
- نص تجلّى عبر الوسيط الإلكتروني في أقراص مدمجة (CD) تتضافر فيها الكلمات والصور والأصوات، وهذا لا يتيح للمتلقي إبداء الرأي أو التعليق. وهذا وسابقه يسميان (نسقا سلبيا).
- نص تجلّى عبر الوسيط الإلكتروني مكتوبًا في أحد المواقع الإلكترونية، وتتيح للمتلقين التعليق وإبداء الرأي كتابة، أو بأيقونات المشاعر التي تتيحها مواقع التواصل الاجتماعي.
- نص يستخدم الكلمات والصور والأصوات في تسجيل مرئي (فيديو video) عبر أحد مواقع التواصل الاجتماعي، وهذا يسمح للمتلقين بالتعليق وإبداء الرأي كتابة، أو بأيقونات المشاعر التي تتيحها مواقع التواصل الاجتماعي.
- نص يكون فيه حضور الصوت والصورة والمؤثرات الجرافيكية (فن الجرافك Art Graphic) مكملا للنص المكتوب، بحيث إذا تعطل إحداها

---

(١) ينظر: مدخل إلى الأدب التفاعلي لفاطمة البريكي ص ١٩ – ط المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – الأولى ٢٠٠٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تعطل النص كاملا، وهذا لا يكون إلا باستعمال شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت Internet).

- نص يتيح قدرًا عاليًا من التفاعل، بحيث يمكن للمتلقين التدخل في النص إضافة أو تعديلا أو حذفا، ويكون هذا بدعوة من المبدع. وهذه الأنواع الأربعة تسمى (النسق الإيجابي)[١].

وهذه الأنماط لتجلّي الآدب إلكترونيًّا أطلق على بعضها النقاد مسميات ومصطلحات عدة، منها: الأدب الرقمي، الأدب التفاعلي، الأدب الإعلامي، الأدب الشبكي، وغيرها من المصطلحات[٢].

وأيًّا ما كان المظهر الذي تجلّى فيه النص الأدبيّ فإنه لا يتم إلا عبر الوسيط الإلكتروني؛ لذا أوثر مصطلح (الأدب الإلكتروني) لأنه جامع لكل هذه الأنماط.

ومما لا شك فيه أن هذا التجلّي الجديد للأدب عبر الوسيط الإلكتروني جعل النشر للمبدع سهلا؛ فأتاح فرصة للمغمورين أن يُطلّوا بإبداعهم على جمهور عريض.

كما جعل التلقّي للمستقبِل سهلا، ووفر بيئة تفاعلية خصبة للنقد يستوي فيه المتخصص وغيره.

ثمة ميزة أخرى للأدب الإلكتروني، أنه مكّن المبدع من التعديل أو الحذف متى شاء، فلم يعد كتابًا مطبوعًا صدر للقراء ولا يمكن التعديل إلا بطباعة جديدة، وينوّه فيها بهذا التعديل.

---

(١) ينظر: مدخل إلى الأدب التفاعلي لفاطمة البريكي ص ٢٠ : ٣٠ بتصرف.

(٢) ينظر: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق لـدكتور جميـل حمـداوي ص ٩ : ١٠ – ط مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع– الأولى ٢٠١٦م.

أيضا، فإن الأدوات التي يتيحها الوسيط الإلكتروني من مؤثرات الصوت والصورة تجذب عددًا من المتلقين لم يكنوا ليهتموا بالأدب إلا بهذه المؤثرات التي تدني أسرار الجمال الأدبي إليهم.

وهذا يساعد في سدّ فجوة في الأدب المتجلي ورقيًّا، لم تك متاحة من قبل.

وعليه فإنه يضيف بعدًا جديدًا للمبدع قدرةً على اكتساب أنماطٍ من المتلقين متوسطي الثقافة والاهتمام الأدبي. كما يستطيع المبدع بهذه المؤثرات الجديدة أن يرفع من ذوق هذه الفئة وينمّي ثقافتها ويقربها إلى تذوق الأدب وفنونه، وهو بهذه الميزة يكون مفيدًا للمتلقي كذلك.

يتبقى سؤال مهم، وهو: هل تختلف دراسة النص الأدبيّ الإلكترونيّ عن النصّ الورقيّ؟

بقليل من التأمل بدا أنه لا تختلف دراسة النص المتجلي إلكترونيًّا في مجملها عمّا هو معهود من دراسة النصوص الأدبية من حيث أدبية النص، وقدرة المبدع على الإفادة من معطيات التكنولوجيا، ومدى توفيقه أو إخفاقه في ذلك.

أما عن أدبية النص، فتكون باستيفاء عناصره (اللغة والخيال والصورة)، وكل ما يجلّي هذه العناصر ويزيدها تأثيرًا فهو يحقق الغاية من الأدب التي هي التأثير في المتلقي، والتأثير يستلزم الإنفاع والإقناع، فكل ما قرّب الأدب من غايته فهو يزيد من فنيّته وأدبيّته.

ومن ثَمّ فإنّ كل ما تضفيه وتضيفه التكنولوجيا من عناصر الصورة والصوت والمؤثرات الجرافيكية (فن الجرافك Art Graphic)، وكذا التفاعل

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الحيّ السهل للمتلقين باختلاف مشاربهم وثقافاتهم، فهذا يضيف للأدب جمالا ورواء ويثري أدبيته، وبهذا يخطو النتاج الأدبي عبر الوسيط الجديد خطوات إيجابية نحو ثرائه وفنيته وأدبيته.

ولكن تظل إشكالية عدم التجرد وغياب الحيادية، محاباةً أو تنمّرًا من المتلقي تجاه المبدع، أو كانت تزلّفًا أو ازدراء من المبدع تجاه المتلقي، وذلك بحكم (الصداقة الافتراضية عبر الوسيط الإلكتروني) التي تربط بين المبدع والمتلقي، أو بسبب اختلاف (الأيديولوجيَّات)[١] بينهما؛ فإنها تظل إشكالية يفرضها التواصل الحيّ من جراء هذا الفضاء المستجد عبر الوسيط الإلكتروني الجديد، ولعل هذه إشكالية تحتاج بحثًا مستقلا.

وباستقراء القصائد عن الطبيب الراحل محمد مشالي، وُجد أن بعضها تجلّى على مواقع الصحف والمجلات الإلكترونية مكتوبة من غير مؤثر يصحب النص.

وبعضها تجلّى على هيئة تسجيل مرئي (فيديوvideo) يستخدم الصورة والصوت، وأحيانا الموسيقى بوصفها مؤثرات وموضحات للمعاني المطروحة في القصيدة، وذلك عبر موقع (يوتيوب YouTube) أو غيره من مواقع التواصل الاجتماعي.

وهذا ما سيعرض في هذه الدراسة بتوفيق الله تعالى.

---

(١) أيديولوجيَّة: مجموعة الآراء والأفكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو حزب أو جماعة، ج أيديولوجيَّات.(ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل – ١/١٤٤ – ط عالم الكتب – الأولى ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م).

المبحث الأول

تجليات الطبيب محمد مشالي في الشعر المعاصر

حينما يمتلئ الإنسان يقيناً وإيماناً بقيم وفضائل، مروضًا نفسه ومغالبًا هواه في سبيل ذلك اليقين وتلك الفضائل؛ فلن يتأثر حينئذ بتقلبات الزمن ومغريات الحياة، بل هو الذي يغيّر وقع الحياة، فيصير أيقونة لمعانٍ شتى سامية.

هذا ما حدث مع الطبيب محمد عبد الغفار مشالي-رحمه الله تعالى- الذي وهب حياته وعلمه وماله للفقراء المقهورين، فبعد أن عاش معظم عمره مغمورًا أتته الأضواء طائعة ليملأ ذكره القلوب والأسماع، وتلهج باسمه ألسنة الإعلام، وتتغنى به قصائد الشعراء، ثم لمّا وافاه أجله، توجهت بالدعاء أفئدة الناس إليه، وأقبلت أقلام الشعراء عليه؛ ليعبر كل شاعر عما استوقفه وملك عليه لبّه من وحي سيرة ومسيرة هذا الطبيب، ويكأن الله تعالى أراد أن يكافئه في الدنيا ذكرا ومنزلة؛ فتجلّت عبر المنجز الإبداعي لعدد من الشعراء المعاصرين من خلال الشاشة الزرقاء صورًا شتى لهذا الطبيب الإنسان، الذي صار أيقونة الإبداع الشعري؛ لجميل صفاته وجليل سماته، فكانت الصور الآتية:-

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أولا: مشالي ومثالية الإنسان.

ترقِّي الإنسان في مراتب اليقين يُثمر حركة حياة ونشاطًا في الفضائل تُدْهِش الشاهد والسامع، كما تدهش المبدع إذا أراد التعبير عنها، وهذا ما نجده لدى الشاعر إيهاب عبد السلام[١] حين يقول:

تَحيّرَ فيك الوفا والرضا كأنكَ وحدَك جيلٌ مضى[٢]

فالصورة المثالية للوفاء والرضا أدهشت المبدع، فعبّر بألفاظ تعكس هذه الدهشة، فخلع على وجه الرضا والوفاء علامات الحيرة والدهشة، أفيكون من البشر إنسان بهذا اليقين وتلك المثالية في زمان يعج بالمغريات؟ ويكأنه تجمّع فيه من الفضائل ما تفرق في جيل.

وفي هذا السياق يقول الشاعر الدكتور عصمت رضوان[٣]

---

(١) إيهاب عبد السلام عبد البر، كاتب وشاعر مصري. من مواليد محافظة البحيرة ١٩٦٨م، تخرج في كلية دار العلوم ١٩٩٠م، حصل على الدكتوراه في الأدب، وعمل مدرسا، ثم تفرغ للنشر. نشرت له مقالات وقصائد في الصحف والمجلات. كتب العديد من الأناشيد للأطفال بالفصحى وتذاع على الفضائيات، وله ثلاثة دواوين: الهروب إلى الحب – ليلى قهوة الروح – محض احتمال، وله مؤلفات أخرى. (ينظر: موقع خزانة الأديب، عبر الرابط: http://khezanataladeb.blogspot.com).

(٢) مطلع قصيدة: (طبيب الغلابة د. محمد مشالي) للشاعر إيهاب عبد السلام. وهي من بحر المتقارب. ومنشورة في موقع بوابة جريدة الأسبوع، عبر الرابط : https://www.elaosboa.news/124116

(٣) عصمت محمد أحمد رضوان، شاعر وناقد وداعية وأستاذ جامعي مصري، من مواليد قرية أولاد حمزة – العسيرات – سوهاج ١٩٧٦م. تخرج في كلية اللغة العربية بجرجا – جامعة الأزهر ١٩٩٩م، ثم حصل على الماجستير في الأدب والنقد، ثم الدكتوراه، ثم ترقى إلى درجة أستاذ مساعد، ثم أستاذ. صدرت له ثمانية دواوين شعرية، منها: (أنشودة الحجر _بغداد صبرا _ تداعيات العشق المجنون). نشرت له قصائد في الصحف والمجلات الورقية والإلكترونية. له نشاط في المنتديات الثقافية. أُعدت في شعره رسائل علمية، وعدد من الدراسات النقدية. (ينظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين إعداد مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين ص٦٨٢ – ط مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري 2013م، ومعجم أدباء مصر إعداد وتقديم مسعود شومان ص٢٢١ – ط الهيئة العامة لقصور الثقافة – الأقصر ٢٠٠٤م، وموقع الاتحاد الدولي للغة العربية، رابط: https://members.alarabiahunion.org/%D8%B9%D8%B5%D9%85%D8%AA).

مستهلا قصيدته بتساؤلات عبر تقنية الخطاب الحجاجي قائلا:

ذلكَ النهرُ؟ أم غياثُ السحابَةْ؟ أم ملاكٌ للخيرِ يفتحُ بابَهْ؟
أم كتابٌ حوَى صحائفَ نورٍ وحكايا عن مكرماتِ الصحابَةْ[١]

الاستهلال يثير جدلًا وتساؤلات حول ماذا يمكن أن نشبه به الطبيب محمد مشالي، أفيكون نهرًا دائم التدفق؟ أم غيثًا جاء بعد طول انقطاع؟ أم ملاكًا أنزله الله من السماء لنفع الناس؟ أم كتابًا انتقى من المكارم أنقاها ومن فعال الصحابة أعلاها؟ حتى إذا ما تملكت الحيرة المتلقي جاء الجواب:

إنهُ المرءُ حينَ يغدو مثالًا وسؤالًا .. تعزُّ عنهُ الإجابةْ[٢]

إنه الإنسان حينما يتخلى عن الرذائل ويتحلى بالفضائل فتتجلى فيه مثالية الإنسان، ويصير بهذه المثالية سؤالًا تعزّ عنه الإجابة.

ولأن الإجابة على السؤال غير يسيرة، فربما كان طرح السؤال من دون إجابه أبلغ في رسم الصورة المثالية للإنسان المعطاء، وهذا ما لجأ إليه الشاعر إبراهيم شبانة[٣]، مثيرًا عدة تساؤلات حول كيف غالب الطبيب مشالي هوى النفس؟ وكيف ظل بفطرة الأطفال؟ وكيف لم يُصِبْه نزغ من الشيطان

---

(١) القصيدة بعنوان: (طبيب الغلابة) للدكتور عصمت رضوان. وهي من بحر الخفيف، ومنشورة في: موقع جريدة الراي المصرية، عبر الرابط https://elrayeg.com/Web/single_news/43863

(٢) السابق.

(٣) إبراهيم مصطفى شبانة، شاعر مصري من مواليد محافظة الدقهلية ١٩٧١م، تخرج في كلية التربية قسم اللغة العربية جامعة المنصورة عام ١٩٩٣م، يعمل مدرسا للغة العربية في مدرسة علي مبارك الثانوية بدكرنس. وله ما يربو على مائتي قصيدة مخطوطة، غير مطبوعة في ديوان. (مراسلة بيني وبين الشاعر).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فيبخل؟ منتهيا إلى أن مثالية هذا الطبيب أدهشت كل متأمل في سيرته، فصار ذكره منبع جدال ونقاش، أَوَحَقٌّ في الناس هذا أم ضرب من الخيال؟ يقول:

بالله كيف غلبت نفسك والهوى كيف انجذبت لفطرة الأطفالِ
أدهشت كل مفكرٍ متأملٍ فندور حالك منبعٌ لجدالِ
أوليس ينزغ قلبَك الشيطانُ فتقول أولى بذي النقود عيالي[١]

ويسترسل في التساؤل قائلا:

كيف انعزلت عن الحياة نعيمِها كيف ارتقيتَ لهمةِ الأبطالِ
أوليس يغريه غنى الأتراب أوليس يطمحُ للمقامِ العالي[٢]

ثم يخلص إلى أن مثل الطبيب مشالي يعز في زماننا، فهي إحدى نفحات ربنا للضعفاء المقهورين:

هذي الخلائق لا ترى في عصرنا هي نفحة من ربنا المتعالي[٣]

وعلى هذا النهج من الحيرة والدهشة التي تملّكت أفئدة الشعراء المعاصرين في مثالية الطبيب مشالي تأتي قصيدة: (طوبى لنهجك د. محمد مشالي) للشاعر حنفي عبد العزيز حسين خليفة[٤]، والتي استهلها بالثناء على

---

(١) القصيدة بعنوان: (مشالي نبع العطاء) لإبراهيم شبانة، وهي من بحر الكامل، منشورة (فيديو) بصوته على قناته على اليوتيوب، عبر الرابط: https://www.youtube.com/channel/UCoxn2wJ6OwKwliBjYSlA8ZQ وحصلت منه على نسخة مخطوطة.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

الطبيب وفعاله التي رفعته إلى ذروة سنام المعالي، ثم يشرع في ذكر تساؤلات عجز مداد الشاعر عن الإجابة عليها، قائلا:

طوبى لِنَهجِكَ الميمونِ أَيَا مَشَـــالي ... يا مَنْ تربّعَ بالوفاءِ علـــى المعـــالى
أيّ الكواكبِ قد أَتَتْـــكَ لأرضِـــنا؟ ... في عصـــرِنا المحكـــومِ بـــالأموالِ
بِفعالِكمْ، يا سيـــدى أدهشـــــتنا ... في عصرِ قرصنةِ المبادئِ والفِعَـــالِ
فالشعرُ يعجزُ أنْ يصوغَ حُروفَـــهُ ... في وصفِ ديدنِكمْ، وحـــارَ خَيَـــالي
ماذا أقولُ؟ وماذا أكتـــبُ دُلَّنـــي؟ ... عزَّ المدادُ على الإجابةِ للســـؤالِ[١]

إن هذه الدهشة والحيرة التي سيطرت على أقلام كثيـــر مـــن الشـــعراء المعاصرين الذين تناولوا سيرة هذا الطبيب وفعاله تعكس المادية والأنانية التي رانت على أفئدة كثير من الناس، فصاروا يدهشون حينما يرون إنساناً تجلّت فيه أخلاق النبوة، إنساناً تيقن أن ما عند الله هو خير وأبقى، فحقـــق المثاليـــة الأخلاقية والإنسانية فعلًا وقولًا، وصار واقعًا يعيش بين الناس، لكنه نادر قلّما يتكرر، وهذا ما عبّر عنه الأستاذ محمد فايز اللحامي[٢] بقوله:

---

(١) قصيدة: (طوبى لنهجك د. محمد مشالي) للشاعر حنفي عبد العزيز حســين خليفــة، مــن الكامـــل، ومنشـــورة علـــى موقـــع جريـــدة اليـــوم الســـابع، علـــى الرابط:https://www.youm7.com/story/2020/5/6/%D8%A7

(٢) محمد فايز واعر اللحامي، من مواليد محافظة البحيرة ١٩٧٧م، تخرج في كليــة الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الإسكندرية، يعمل مدرسا، له ديوان العبير الساحر تحت الطبــع، وينشر بعض قصائده على قناته على اليوتيوب، أو على صفحته الشخصية على الفايسبوك، مستعينا بالتقنيات الحديثة ومؤثرات الصورة.(مراسلة بيني وبين الشاعر).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نَدَرَ المثيــلُ لنهجــك بزماننــا يا واحــدًا لا مثلــه بزمــاني[١]

ولما كان هذا النهج نادرًا؛ فإن أي لقب لا يكافئه، فهو كما عبّر عنه إياد قزاز[٢]:

جليــلٌ جــاوز الألقــاب قــدرًا مضــى بالحب لكـن مـا استقالا
فعــاش لغيــره بــذلًا وحبًّــا ولــولا هــؤلاء الكــونُ زالا[٣]

يراه ساميا عزيزا يعلو اسمه على كل الألقاب، عاش طبيبا يبذل الحــب للناس معنى ومبنى، ومات حبيبا يبكون رحيله ويتألمون لفراقه بعد أن كــان نفحة خير ونور وسببا من أسباب رفق الله تعالى بالإنسانية.

هكذا عزف الشعراء على قيثارة الشعر معاني المثالية الإنســانية التــي تجلت في الطبيب مشالي، فانعكست في شعرهم ممزوجة بالدهشة.

ثانيا: مشالي وتواضع الكبار.

حبى الله الطبيب مشالي نفسًا راضية قنوعة دعته ليقول: "لقد أعطتني الدنيا أكثر مما أتمنى وأكثر مما أستحق، وراضٍ عن نفسي وما قسمه الله لي"[٤].

---

(١) قصيدة: (رجل من الزمن الجميل) لمحمد فايز واعر اللحامي. والقصيدة من بحر الكامــل، منشورة على اليوتيوب، من خلال الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=iVrAzHptxC ، وقد حصلت على نسخة مخطوطة بخط الشاعر.

(٢) إياد محمد أحمد قزاز، ولقبه شاعر من الشارع، ولد فــي ١٦/١١/١٩٧٧م مــن الأردن /عمان /الطيبة، حصل على بكالوريوس الشريعة، ويعمل مدرسا. ليس له دواوين مطبوعة وإنما ينشر ما نظمه على اليوتيوب. (مراسلة بيني وبين الشاعر).

(٣) قصيدة: (طبيب الغلابة .. من شاعر الغلابة) لإياد قزاز، منشورة على قناة إياد قزاز، على اليوتيوب، عبر الرابط: https://www.youtube.com/c/eyadqazzaz

(٤) حوار مع الطبيب محمد مشالي في *برنامج (باب الخلق).*

كما أنه لم يك يسعى نحو الشهرة والذيوع، ويرى ذلك يتعارض مع نبل مهمته في الحياة، وسمو رسالة الطب، يقول: "أحب أن أكون مجهولا، أعمل في صمت ولا أطمع في شهرة"(١).

أما عن الزهد في المال ومتع الحياة، فليس أكثر دلالة على ذلك من قوله: "نشأت فقيرًا، ساندويتش الفول والطعمية يكفيني، ولا أريد أن أرتدي ملابس بآلاف الجنيهات أو أستقل سيارة طولها عشرة أمتار .. لا شيء ينقصني .. والقناعة كنز لا يفنى"(٢).

هذا مما أفصح به الطبيب مشالي في لقاءات الإعلاميين معه، وكان يشترط كي يتم اللقاء أن يوافق المنتظرون في عيادته(٣)، فليس عجيبا أو غريبا أن يكون التواضع سمة بارزة فيه؛ ليتلقفها الشعراء المعاصرون في قصائدهم عنه، ويعبروا عنها بصور تكشف جوانب التواضع فيه.

ومن هؤلاء الشعراء الدكتور عصمت رضوان الذي صوّر تواضع الطبيب محمد مشالي متمثلا في حيائه الجم، وزهده وترفعه عن قبول العطايا والهبات التي أتته راغمة دون سعي منه، معلنا أنه يكفيه من العيش الكفاف، يقول:

عاشَ في الناسِ بالتواضع يمشي ورداءُ الحياءِ يكسُو إهابَهْ
والملايينُ دون سُؤلٍ أتتهُ فأباها .. مارامَ إلا احتسابَهْ

---

(١) حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (زملكاوي) على قناة الزمالك ، تقديم طارق يحيى، حلقة خاصة عن طبيب الغلابة .. رابط الحلقة: https://www.youtube.com/watch?v=czw7ybApkH4

(٢) حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (باب الخلق).

(٣) يراجع: حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (سهرة مع).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قال: أغروا بزخرفِ المالِ غيري ما نعيمُ الحياةِ إلا صُبابَةْ
أنفقُ العمرَ في جميلِ صنيعٍ من عطايا المليكِ أرجو ثوابَه[١]

يشير هنا الشاعر إلى واقعة كانت الشرارة الأولى التي أذاعت اسم الطبيب محمد مشالي، ووجهت إليه أنظار الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي التي تصدر فيها وسم (طبيب الغلابة) كل الوسوم آنئذ، سيما وقد عاش عمرا ناهز السبعين عاما لا يعرفه سوى أهل بلدته، تلك الواقعة هي محاولة مُقدّم برنامج (قلبي اطمأن)[٢] – المهتم بالمساعدات الخيرية – استضافة الطبيب مشالي، لكنه رفض بشدة، فاحتال مقدم البرنامج بمساعدة أحد الأشخاص ليعلمه بحالة مرضية في الشارع لا يمكنها الصعود إلى عيادته، فوافق الطبيب مشالي ونزل إلى الشارع، فعرّفه مقدم البرنامج بنفسه، وأعطى له شيكاً بمبلغ كبير، عارضاً عليه تجهيز عيادة له في أشهر شوارع طنطا، لكن المفاجأة أنه رفض، مقترحا أن يتبرع بها للجمعيات الخيرية، معلنا أنه وهب نفسه للفقراء، ورغم محاولات مقدم البرنامج إقناعه إلا أنه أصرّ على موقفه برفض المساعدة قائلا:

---

(١) قصيدة: (طبيب الغلابة) للدكتور عصمت رضوان.

(٢) (قلبي اطمأن) برنامج خيري عُرض رسميًا لأول مرة في ٢٠١٨م، وحقق مشاهدة وتفاعلات عالية. يُعرض على مواقع التواصل الاجتماعي، وقناة نور دبي، وقناة MBC1 وقناة أبوظبي. يَعرض البرنامج حالاتٍ اجتماعية واقعية، فيُقدم ٣٠ حالة إنسانية في رمضان من كل عام. (ينظر: موقع ويكيبيديا، رابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D9%84%D8%A8%D9%8A

ــ "جميلك على راسي .. أنا نشأت فقير .. والدي أوصاني بالفقراء خيرًا .. وساندوتش فول وطعمية بيكفيني .. أتقرب إلى الله بالعمل الخيري .. وأحب أن أعطي بنفسي"(١).

تفاعل الدكتور عصمت رضوان مع هذه الواقعة، فعبّر عنها وعن هيئة الطبيب مشالي وعن قناعته وإيمانه بما يصنع بلغة تعتمد التكثيف والوهج، فجاءت ألفاظه تشع دلالات تعكس تفاعله مع التجربة الشعرية، نلمس ذلك في اختيار الألفاظ المتسقة مع مكث الطبيب مشالي ردحا من الزمن بين الناس لا يبغي شهرة، فقد كان زاهدا متواضعا في مأكله وملبسه، فنجد التعبير بالماضي الدال على التحقق (عاش)، وبالمضارع الدال على التجديد والاستمرارية (يمشي)، وبينهما الاسم الدال على الديمومة والثبات (التواضع)، ثم يختم بـــ (الحياء)؛ لتنقل الألفاظ القلائل سيرةً ومسيرةً وواقعًا معاشًا، وعند التفاعل مع واقعة رفضه ملايين الجنيهات وتوجيههم لنواحٍ أخرى أولى بالتبرع معلنا أنه يحب أن يعطي بنفسه راجيا الثواب من المولى عز وجل، نجد ألفاظ: (الملايين – أتته – أباها – احتسابه)، ثم يأتي التعبير بالحزم المعلن عن إيمان ويقين لا يتزعزع باستخدام ألفاظ متنوعة بين الفعل، والاسم، وضمير المتكلم، والمضاف والمضاف إليه: (قال– اغروا – غيري – زخرف المال – نعيم الحياة – صبابة – أنفق العمر – جميل صنيع – عطايا المليك – أرجو ثوابه)؛ لتؤكد تلك الألفاظ وتركيباتها على حال اليقين والإيمان الصادق المشبع بالتواضع والتفاني مع إنكار الذات.

---

(١) يراجع برنامج: قلبي اطمأن الموسم الثالث – عن طبيب الغلابة، رابط الحلقة: https://www.youtube.com/watch?v=LQ4U2LU6LaA

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كذلك من الشعراء مَن يصور تواضعه بقربه من الناس، إذ لم يجعل بينه وبينهم حجابا، عاش معهم ولهم سمحا ودودا هادئا مبتسما زاهدا رغم المغريات التي عرضت عليه، فكان عزيزا رغم رثاثة ملبسه، ثم رحل في هدوء كما عاش في هدوء، يقول في ذلك الأستاذ محمد ناجي[١]:

مَضَىٰ في الناسِ لَمْ يَضْرِبْ حِجابَهْ ... وماتَ بِغَيْرِ صَخْبٍ أو خَطابَةْ
وكَمْ ناداهُ للدُّنيا مُنادٍ ... فلَمْ يَلْقَ استِماعًا واستجابَةْ
بسيطًا عاشَ لَمْ يَشْمَخْ بأَنْفٍ ... فكُنْتَ تَرىٰ تَواضُعَهُ إهابَهْ
وكانَ يُرَىٰ بِطِمْرٍ أو حِذَاءٍ ... قديمٍ غَيْرَ أنَّ بِهِ المَهابَةْ[٢]

كذلك من الشعراء من شبّه الطبيب مشالي بالزعيم الهندي غاندي[٣] في محاولة لتصوير تواضعه وثباته على مبدئه رغم المغريات، يقول إبراهيم شبانة:

---

(١) محمد ناجي يحيىٰ محمد، شاعر مصري، مواليد عام ١٩٧٦م، تخرج في كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٩٨م، ينتمي إلىٰ مدرسة الجن الأدبية، وهي مدرسة تعنى بقرض الشعر علىٰ أوزان الخليل مع التجديد في المعاني والصور، وإحياء فن اللزوميات، والشعر المسرحي. صدر له ديوان احتواء. و نُشِر له عددٌ من القصائد في العديد من الجرائد والمجلات الورقية والإلكترونية. (ينظر: موقع ديوان: قاعدة بيانات الشعر العربي والمترجم والاقتباسات، رابط:
.(https://diwandb.com/poet/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF

(٢) قصيدة: (طبيب الغلابة) لمحمد ناجي، وهي من الوافر. منشورة على موقع بوابة الشعراء، رابط: https://poetsgate.com ، وكذلك موقع ديوان، رابط: https://diwandb.com/poet

(٣) هو: موهانداس كارامشاند غاندي، ولد في الثاني من أكتوبر ١٨٦٩م في بورباندر، الهند، واشتُهر باسم (مهاتما) وتعني الروح العظيمة، كان سياسيا بارزا ويعتبر الزعيم الروحي للهند خلال حركة الاستقلال، عاش متواضعا يأكل أكلاً نباتياً، ونادى بتخفيف الفقر بين الناس، وعدم التعصب، اغتاله أحد المتطرفين بثلاث رصاصات في ٣٠ يناير ١٩٤٨م. (ينظر: المنجد في اللغة والأعلام ــ قسم الأعلام ص٣٥٨ ــ ط دار الشرق ــ بيروت ــ الثالثة عشرة ــ ١٩٨٦م).

إن كان غاندي مضرب الأمثال فهناك كالطود العظيم مشـــالي
لم ينسج الفقراء ثوبـــا فـــاخرا ما ضره يبـــدو بثـــوب بـــالِ
فهم السعادة غيرنا، فغناه فـــي كم بثّ في الفقراء من آمـــالِ
قد عاش عمره صامتا لا يدّعي لكن صمته أبلـــغ الأقـــوالِ[١]

استهل الشاعر مرثيته مستخدما الشرط وجوابه في حال التشبيه ليؤكـــد في مطلع القصيدة على الثبات على المبدأ مهما كانت الابتلاءات، فكان نمطـــا فريدا لهذا التواضع مع اليقين.

وفي حين يركز إبراهيم شبانة على تواضع الطبيـــب مشـــالي رغـــم المغريات، جاعلا من نمط حياته أبلغ درس في تواضع أصحاب الهمم العالية، يأتي الدكتور هادي فخر الدين[٢] ليضم إلى التواضع التُقى والزهد ومســـاعدة المعوزين، فلم يتخلف عن عياده يوما واحدا، ولا رفع أجره بل ظـــل زهيـــدا حتى مماته، فجاء التواضع في قصيدته صفة من جملة صفات رفعتـــه إلـــى العلا، فيقول:

قد نلت من شرف المحبة منزلا والطب يأبى أن تـــذل خطـــاك

---

(١) قصيدة (نبع العطاء) لإبراهيم شبانة.

(٢) عبد الهادي محمد فخر الدين عبد الهادي، وشهرته: (دكتور هادي فخر الدين)، إعلامـــي وشاعر وروائي مصري، ومقدم البرنامج التلفزيوني: (حتما ستفرج) في التنمية البشـــرية، وصاحب موسوعة: كبسولة التغيير، في تنمية الذات، له من الدواوين: نوستالجيا ، والبردة الرابعة، ومن الروايات: يولاند في مملكة الموتى (جزءان).(ينظر: غلاف رواية: يولاند في مملكة الموتى لهادي فخر الدين – ط سما للنشر والتوزيع – القاهرة –٢٠١٨م).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رجل تحصن بالتواضع والتقى ورسمت بالأجر الزهيد علاك[١]

كذلك من الشعراء من صوّر تواضع الطبيب مشالي في زهده وعزوفه عن الزينة في الملبس والمأكل ليؤازر الفقراء بفعله وسمته، يقول في هذا الأستاذ محمد فايز اللحامي:

ذاك محمد قد خلا من زينةٍ روح بلا رسم بلا ألوانِ
مترفعٌ عن دونِ في الدنيا التي غوت الدنيئ فريسة الشيطانِ
لما أحسّ دموعَ قومٍ تذبحُ من فقرهم نفسًا مع الأجفانِ
فَتَجَرّدَ .. لا مبقع ومقطّع ليعيد إنسانية الإنسانِ[٢]

نلحظ هنا أن الشاعر يسلط الضوء على هيئة الطبيب مشالي المتواضعة التي كان يتنمّر بها بعض النشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي، ساخرين من بلى ثيابه.

هكذا دارت أفكار الشعراء عن تواضع الطبيب مشالي حول هيئته وزهده وعفته وطهارة نفسه مقرونة بحب الناس له، وهكذا يكون تواضع الكبار أصحاب الهمم العالية.

---

(١) قصيدة: (رثاء طبيب الغلابة) للدكتور هادي فخر الدين، منشورة (فيديو) على قناته على اليوتيوب بصوته ، رابط:

https://www.youtube.com/channel/UCjfUnSH2pBhdvJ

(٢) قصيدة: (رجل من الزمن الجميل) لمحمد واعر اللحامي.

ثالثا: مشالي أيقونة[١] العطاء.

جاء على لسان الطبيب محمد مشالي قوله: "مهنة الطب ليست مهنة تجارة، هي مهنة إنسانية بالدرجة الأولى"[٢].

وجاء كذلك: "همي الفئات المطحونة مَنْ أكل عليهم الدهر وشرب ... ولا يستحق أن يعيش من عاش لنفسه فقط"[٣].

هاتان الجملتان تمثلان مفتاحًا لأهم جانب في شخصيته، إذ قدم أنموذجا فريدا في العطاء الإنساني، حتى صار أيقونة للعطاء، به يضرب المثل في البذل والجود والإحسان، حتى لكأننا:

سنقول في غدنا لمن قد يحسن هل أنت في ذاك العطاء مشالي[٤]

ومن ثمّ احتل هذا الجانب مكانا بارزا، وتنوع تناول الشعراء له، وتفننوا في تصويره، فالدكتورة ريم سليمان الخش[٥] ترى عطاءه قريب المنال للجميع كجنى الجنتين دانٍ، وقلبه كالشمس ينشر الدفء على المعوزين عطفا ومالا،

---

(١) "أيْقونة: علامة أو رمز لبرنامج معيَّن تمّ تخزينه داخل الحاسوب، تظهر على سطح المكتب، وبالنقر عليها يتم فتح هذا البرنامج"، وتوسع في الاستعمال فصارت تطلق بمعنى الرمز أو العلامة لأي صفة تضاف إليها.(ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ١/١٤٤).

(٢) حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (سهرة مع).

(٣) حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (باب الخلق).

(٤) قصيدة: (مشالي نبع العطاء) لإبراهيم شبانة.

(٥) ريم سليمان نجيب الخش، من مواليد دمشق، حصلت على الدكتوراه من جامعة باريس ١٩٩٩م، تكتب الشعر المقفى والحر، ونشرت العديد من القصائد في الصحف الإلكترونية المختلفة، حصلت على العديد من الجوائز والأوسمة، لها جائزة باسمها وهي (جائزة ريم الخش للإبداع العربي). لها عدد من الدواوين، منها: وفاء بزمن الغدر – ليتني دوما معه – حلاج بحب مذبح، وغيرها. (ينظر: موقع بوابة الشعراء . رابط: (https://poetsgate.com/poet.php?pt=4880

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أو قلب رحب فسيح كالكون يشمل الجميع ودًّا وجبرا، إنه عطاء يُحيي في النفوس سماحة الأديان، عطاء تقْصر دونه قرائح الشعراء، تقول:

يداه كجنتين بألف بابٍ ... مشرّعة بإكرامٍ مريحِ
وقلبٌ كالذُكاء[١] يفيض دفئا ... يُدثّرُ كلّ خفّاقٍ جريحِ
لتبتسمَ الجوارح في خشوعٍ ... وقد برأت من الوجع المطيحِ
له سعةٌ كحجم الكون عطفا ... بإكسيرٍ مداوٍ للقروحِ
يُرمم ما تصدّع من مرايا ... تُشكلُ في رؤى دينٍ سموحِ
عليه صلاة هذا الكون شكرا ... لما قد شعّ من نور مليحِ
ظلالٌ لا يوافيها قصيد ... ولا يعلو لمصدرها مديحي[٢]

تأتي صور الدكتورة ريم كلاسيكية حسية متخذة من التشبيه أداة لتصوير العطاء المشالي كي تنفذ إلى معاني السلاسة والوضوح والسعة التي لفتت انتباهها في عطائه.

بهذا الإطار الكلاسيكي في تصوير العطاء ينقلنا الأستاذ/ محمد واعر اللحامي إلى مشاهد متنوعة في لوحة فنية تتداعى فيها الصور عبر الاسترسال في توليد المعاني للفكرة الواحدة، فكرة العطاء المثالي المشالي،

---

(١) ذُكاءً، بالضم: اسم الشمس. (لسان العرب لابن منظور – المجلد الثالث ١٧/١٥١٠ – ت: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي – ط دار المعارف – مصر –(د.ت).

(٢) قصيدة: (طبيب الفقراء) للدكتورة/ ريم سليمان الخش، وهي من بحر الوافر، ومنشورة في موقع جريدة عالم الثقافة الإلكترونية، رابط: https://www.worldofculture2020.com

وهذا طَبَعِيّ في قصيدة أعدت للمدح[١] في طبيبٍ صار أيقونةً للعطاء، حتى إن الآدمية لتتعلم منه معنى العطاء الراقي، ذلك العطاء الذي يبحث عن النـــاس ويسارع إليهم بلا انقطاع كنهر متدفق به تزهو الحياة وتزكو النفوس، ويتذوق الإنسان طعم الإحسان مقتفيا أثر هذا الطبيب الذي ضرب أروع الأمثلة فـــي كشف كربة المرضى والمعوزين، لا يرجو إلا وجه الله تعالى، فيقول:

الآدميـــة يـــا مشـــالي ترتقـــي – بعد التدني – نهجك الروحـــانِ
علّمْتهـــا أن الحيـــاة رخيصـــة إلا بكســـبٍ صـــالحٍ إيمـــانِ
فمددت غيثـــك للفقيـــر وقلبـــك مأوى له يأتيـــه فـــي اطمئنـــانِ
وأزلت في قلب الحزين كآبـــةً بمشـــارط الإنفـــاق والإحســـانِ
فسموت للمجد الأصيل بجودكَ جـــودٍ كنهـــرٍ دائـــم الجريـــانِ
نَدَرَ المثيـــلُ لنهجـــك بزماننـــا يـــا واحـــدا لا مثلـــه بزمـــاني
يا مؤثرا تزكو الحياة بغرســـك ويضيء فيها الجانب النـــوراني
يا مغريـــا للممســـك ومعلمـــا بتواضعٍ معنى العطـــاء الحـــانى
أوقفـــت مالـــك للإلـــه تقربًـــا تُغْنِي الفقير .. تُرِيحُ غَمّ العانى[٢]

ثم يضيف الشاعر بعدا آخر للعطاء بلا مَـــنّ أو أذى، عطـــاء الأيـــادي البيضاء، فيقول:

---

(١) ذكر الأستاذ/ محمد واعر اللحامي بين يدي قصيدته المناسبة قائلا: إنـــه نظمهـــا إهـــداء وتكريمـــا للطبيـــب محمـــد مشـــالي. ينظـــر: القصـــيدة عبـــر الـــرابط:: https://www.youtube.com/watch?v=iVrAzHptxc

(٢) قصيدة: (رجل من الزمن الجميل) لمحمد واعر اللحامي.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتفوقُ غيرَك يا طبيبُ بأنّــك فوق التداوي ماسحُ الأحزانِ
فطبيب للبدن المريض وحاضنٌ عَوَزَ الفقير برقةٍ وحنــانِ[١]

هذا الجانب النوراني حينما تطرق له الشاعر أحمد مكاوي[٢] في مرثيته، مهّد الحديث بذكر سبب شهرة الطبيب مشالي، موضحا أنها العطاء والصــدق والإخلاص، مسلطا الضوء على ثمرة هذا العطاء في الدنيا علو قدر، وذيوع ذكر، وصدق محبة، وفي الآخرة سعادة وعلو مكانٍ ومكانةٍ فــي الفــردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا، فيقول:

ذكر الطبيب بدت بخير مثــال شرفا شدا بمحمد بــن مشــالى
كــلٌّ أقــرَّ بنــوره وســلامهِ فتفتحت بــين الســما بهــلالِ
أهل البحيرة يعرفــون صــفاتَهُ هو صادق الأفعــال والأقــوالِ
مــدَّ الأيــادي للفقيــرِ محبــةً والعــاجزين أمــدهم بالمــالِ
فمساعد المحتاج يعلــو مدحــه فينا وهذا العطر خيــر مثــالِ
يا باحثين عن الأصالة في الدُنا هذا به نطقوا الــورى بجمــالِ
الله أعلــــى حبــــه بقلوبنــــا وسقاه من فضل العناء الغــالي
وحباه بــين العــالمينَ مكانــةً كالبدر فى فلك السما المتلالــي

---

(١) قصيدة: (رجل من الزمن الجميل) لمحمد واعر اللحامي .

(٢) أحمد إبراهيم مكاوي، شاعر إسلامي، من مواليد قرية الصالحية القديمة فاقوس شــرقية، ولد في ١٩٩٢/١٢/١٩م، تخرج في كلية دار العلوم جامعة القــاهرة، كتــب العديــد مــن الابتهالات الدينية بإذاعة القرآن الكريم، له ديوان: راجي المدد. (ينظر: موسوعة ويكيبيديا الالكترونية، عبر الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B3%

يـــارب فارحمـــه وزده فرحـــةً بجوار طه المصـــطفى والآلِ[١]

وبينما يرتكز أحمد مكاوي على ثمرة عطاء الطبيب مشالي – رحمه الله تعالى – فإن الشاعر الدكتور عصمت رضوان ينفذ إلى أغوار العطاء المادي والمعنوي، موسعا مفهوم العطاء – كما رآه في الطبيب مشالي – فلـم يـك عطاء عاديا، بل هو البذل المثالي مالا وعلما ورأفة وعطفا وإخلاصا وبـرا ويقينا في الله، إنه القلب المعطاء الصفي الزكي، يقول مصورا هذا العطاء:

إنه البُرءُ حين يسعَى بـأرضٍ مـا دعـاهُ العليـلُ إلا أجابَـهْ
يمسحُ الدمعةَ الحزينـةَ عنـهُ ويزيلُ الأسَـى ويمحُـو الكآبـةْ
يا مشالي .. وهلْ كقلبكَ قلـبٌ يسعُ الكونَ كلَّـه فـي الرحابـةْ
لم تتاجرْ يومًا بطبـكَ تبغِـي شهوةَ المـالِ جمعَـه واكتسـابَهْ
يا مشالي.. يا نفحةً من نسـيمٍ طاهرِ الصفوِ ، عبقريِّ النجابَـةْ[٢]

ويعرض الأستاذ إبراهيم شبانة مفهوما أرقّ وبعدا أدقّ لعطاء الطبيـب مشالي، ذلك العطاء المثالي الذي يجود بكل ما يملك، فجعل البذل عين الأخذ، فمفهوم الغنى عند الطبيب مشالي ليس كما هو عند الناس جمع مال، بل بـذل المال والعلم والوقت في مساعدة المعوزين، يقول:

الكل ينفق فائضا من رزقـه أنت الذي أعطى أصول المـالِ
غيرت مفهوم الغنى فجعلتـه رفع المشقة عن ضعيف الحـالِ

---

(١) قصيدة: (طبيب الغلابة) للشاعر أحمد مكاوي، القصيدة من بحر الكامل، ومنشورة على اليوتيوب بصوت المنشد/ عبد الرحمن أحمد .. رابط: https://www.youtube.com/watch?v=4Gsa38tmpBk

(٢) قصيدة: (طبيب الغلابة) للشاعر الدكتور عصمت رضوان.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أنت الذي جعل الفقير مكرما أجللته ، بالغت في الإجلالِ
فنسجت من حب الفقير مهابة زانتك في الحل وفي الترحالِ(١)

وحق للشاعر، فقد منح الدكتور مشالي لقاصديه الخير والعطاء، وبدورهم منحوه طيب الذكر والبقاء، ثم بدوره استطاع الشعر أن يرسم ذلك لوحة فنية للعطاء المشالي الصادق البعيد عن الرياء.

هكذا، تتلخص الصورة الكلية لعطاء الطبيب مشالي في أنه صار أيقونة للعطاء، حيث تلبّس عطاؤه بصفات مادية ومعنوية نفذ إليها بعض الشعراء، فجاءت صورهم يكمل بعضها بعضا في رسم لوحة فنية للعطاء المشالي عطاء الأيادي البيضاء.

رابعا: مشالي .. الابن البارّ.

كان الطبيب محمد مشالي يودّ أن يدرس الحقوق، لكن والده أحب أن يلتحق بكلية الطب، إذ كانت درجاته تؤهله للالتحاق بها، فلم يعترض إيثارا لرغبة أبيه على رغبته، ليس هذا وحسب، بل في يوم تخرج الطبيب مشالي وحين عاد لمنزله وجد أباه ينازع الموت، فدعاه والده ليدنو منه وأوصاه قائلا:

"– اوعى يا محمد يجيلك مريض غلبان وتاخد منه كشف .."

وعقب على هذا الطبيب مشالي قائلا:

– ووالدي كان عزيز عَلَيَّ قوي .. وطلباته أوامر"(٢).

---

(١) قصيدة: (مشالي نبع العطاء) لإبراهيم شبانة.

(٢) يراجع: حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (سهرة مع).

وباستقراء القصائد التي جُمعت عن الطبيب مشالي، لوحظ أنه لم يتعرض لجانب برّ الطبيب مشالي لوالده وحبه له وإيثاره رضا والده على ما يتمناه، وكذلك حفظه وصية والده وحرصه على أدائها خير أداء، إلا واحد فقط من بين الشعراء الذين وقفت على شعرهم فيه.

ولعل هذا راجع إلى أن هذا الجانب لم يعرفوه، أو أن من عرفه لم تكن أفكار قصيدته تقود إليه، سيما أن القصيدة التي جاء فيها وفاء الطبيب مشالي بوصية أبيه هي قصيدة مدح بغرض التكريم والإهداء، فحريّ به أن يفتش عن أدق الجوانب المضيئة عند الطبيب مشالي رحمه الله تعالى.

ذلك الشاعر هو الأستاذ محمد فايز اللحامي، وقد عبّر عن هذا البرّ في قصيدته الموسومة بـ (رجل من الزمن الجميل) قائلا:

ومقدّر لوصية من والدٍ فتصون مأمونا بلا نقصان
لي يا طبيب الفضل أنت القدوة هبة السماء لبسمة الحزنان

حقيق لإنسان هذه أخلاقه وتلك صفاته أن يكون قدوة، له في نفوس الناس مكانة ومنزلة سامية.

وجدير بالذكر أن هذه الوصية من والده، مع واقعة أخرى لطفل أحرق نفسه لأن أمه – التي تعيله وأخوته – لم تجد له ثمن الدواء، ومات بين يدي الطبيب مشالي وهو يحاول إنقاذه[1]، هذان الأمران تكاتفا لتغيير مسار حياة الطبيب مشالي، فوهب نفسه للمعوزين والطبقات المطحونة على حد تعبيره، عليه رحمات الله تترا.

---

(١) يراجع: حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (باب الخلق).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خامسا: مشالي .. صفحات من رسالة النبوة.

المتصفح لسيرة الطبيب محمد مشالي لا بد أن يتملكه شعور أنه أمام شخصية إنسانية لم نعرف مثلها إلا في كتب السير وأعلام النبلاء، لنماذج بشرية تجلت فيها معاني الرسالات السماوية، وتخلقت بأخلاق النبوة.

إن رجلا جاءت على لسانه قيم ومبادئ إنسانية سامية لَقَمِينٌ أن يتراءى لقرائح الشعراء الذين خبروا سيرته أن يلمحوا فيه هذا التأسي، وتلك الصفات الإنسانية النبيلة التي تكون في نهج الأنبياء.

وكان مما جاء على لسانه قوله: "كل إنسان مهيأ لما خلق له، وأنا خلقت للفقراء"(١)، وكانت من أولويات مبادئه: "همي في الحياة مساعدة المريض غير القادر؛ لأنه يستحق العطف"(٢)، ومن كلامه: "أعامل الله، وأحب أن أكون الجندي المجهول .. أعمل في صمت ولا أبغي الثواب إلا من الله، ولا أريد تكريما من أحد"(٣).

إنه رجل وهب نفسه للعمل وخدمة قاصديه بلا انقطاع؛ إذ كان يعمل كل أيام الأسبوع، لم يأخذ إجازة قط، حتى عند زفاف نجله وفلذة كبده ذهب للحفل أقل من ساعة ثم عاد كعادته راهبا في عيادته(٤)، رجل يؤمن بأن الطب ليس

---

(١) يراجع: حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (سهرة مع).

(٢) يراجع: : حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (على مسئوليتي) يذاع على قناة (صدى البلد) الفضائية، رابط الحلقة:

https://www.youtube.com/watch?v=HQV0EKZcKfo

(٣) يراجع: برنامج (ترينديغ) يذاع على قناة (BBC)، تقرير عن الطبيب مشالي، رابط الحلقة: https://www.youtube.com/watch?v=LRWgmmvZThM

(٤) جاء هذا على لسان (وليد) ابن الطبيب محمد مشالي في برنامج (باب الخلق) في حلقة نَعِي فيها الطبيب مشالي وجرى اتصال هاتفي بابنه، رابط الحلقة:

https://www.youtube.com/watch?v=YMZP1Sl23lg

تجارة، بل مهنة إنسانية في المقام الأول؛ لذا كان آخر وصاياه للأطباء الشبان قوله: "أوصيكم بالفقراء خيرا"(١).

إنه امرؤ صدق وعده حتى قضى نحبه، فكانت حركة حياته تمثيلا دقيقا لرسالة النبوة في العطاء المتفاني، والإخلاص الصافي، والحب التام للإنسانية.

تلقف هذه المعاني بعض الشعراء ووجدوا فيها صفحات من نور النبوة، فهذا الأستاذ محمد ناجي يستلهم من قوله: "الطب ليس تجارة، وإنما مهنة إنسانية بالدرجة الأولى"(٢) معاني حياة الأنبياء، فيُحَلِّق بخياله ليرى الطبيب مشالي ناسِكا في عيادته، متعبدا بواجب مهنته، عاقدا صلة بين رسالة النبوة ورسالة الطب حيث يلتقيان ويتكاملان لتحقيق الغاية والهدف لسلامة الإنسانية من كل الأوضار، يقول:

وَعَىٰ أنَّ الطبيبَ رسولُ لُطْفٍ ... لإنسانيَّةٍ جَعَلَ انتِسابَهْ
تَنَسَّكَ في عِيادتِهِ بطَنْطا ... فكانَ لكُلِّ مِسكينٍ إثابَةْ
مَشالي كنتَ للفُقَرا نَبِيًّا ... فتَأْسُوهُمْ وهُمْ مِثْلُ الصَّحابَةْ
وما التبليغُ والتطبيبُ إلا ... شُكُولٌ بَيْنَها صِلَةُ القَرابَةْ
فذا لِسلامةِ الأجسامِ عَوْنٌ ... وذاكَ لِبُرءِ أرواحٍ مَثابَةْ(٣)

---

(١) يراجع: تقرير عن الطبيب مشالي في برنامج (صباح الورد) على قناة (تن TEN) الفضائية، رابط الحلقة :

https://www.facebook.com/TeNTVEG/videos/297602418124514/

(٢) يراجع: حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (سهرة مع).

(٣) من قصيدة: (طبيب الغلابة) لمحمد ناجي.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ليس غريبا أن يشبّه بالناسك في صومعته امرؤ يعمل ما يقارب أربعة عشرة ساعة يوميا كل أيام الأسبوع، وقوته أكلة واحدة في اليوم من غالب قوت العوام(١)، واهبا وقته لقاصديه من المرضى المعوزين، أما المبالغ فيه هو جعله نبيًّا للفقراء، وهم كالصحابة، بجامع العطف عليهم والمواساة لهم.

ومن الشعراء من رأى في مهارة وعلم الطبيب مشالي وشفاء المرضى – بإذن الله تعالى – على يديه كأنه المسيح عيسى بن مريم – عليه السلام – تقول الدكتورة ريم الخش:

بلمسته التبرُّؤ كالمسيح تجلّى في تفانيه الفصيحِ(٢)

وتتابع مصورة صنيعه مع المرضى مهارة ومواساة ورحمة أنه:

يُرمِّمُ ما تصدّع من مرايا تُشكلُ في رؤى دينٍ سموحِ

هذا النشاط الإنساني الفذ عطفا وحبا وإيثارا، يعيد للإنسانية رشدها وثقتها في سماحة الأديان وإصلاحها للإنسان، سيما أنهم رأوا إنسانا ضرب المثل الحيّ للأخوة الإنسانية في أسمى معانيها، إنسانا عاش حياته:

كعيش الأنبياء عطاءُ حبٍّ وصاروا في سما الدنيا مثالا(٣)

هكذا جادت قرائح الشعراء في تتبع هذا الملمح في الطبيب مشالي، فصوروه متفانيا مخلصا موقنا محبا، يُجري الله على يديه الخير أينما حلّ.

---

(١) يراجع: حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (سهرة مع).
(٢) قصيدة: (طبيب الفقراء) للدكتورة/ ريم سليمان الخش.
(٣) من قصيدة: (طبيب الغلابة .. من شاعر الغلابة) لإياد قزاز.

سادسا: مشالي .. وقسوة الرحيل.

لقد ضرب الطبيب محمد مشالي أروع أنموذج للإنسانية في أرقى صورها، نموذجا فريدا لا يتكرر في كل الأجيال، فليس غريبا أن يبكيه كلُّ مَن عرفه.

والشعراء صوروا هذا الشعور القاسي لفقده وتفننوا فيه، إذ كان رحيله شرارة أوقدت جذوة الخيال والعاطفة الحارة الصادقة لديهم، فهذا الأستاذ إبراهيم شبانة يحاول استخلاص العبرة والدرس المستفاد من ألم فقد الطبيب مشالي، فيصور دمع العيون المهراقة عليه بأنها في حقيقة الأمر تبكي نفسها التي قد ترحل من غير أن تقدم خيرا كما قدّم الطبيب مشالي، تبكي نفسها لأن رحيل الصالحين نذيرٌ بقرب القيامة، مصداقا لقول النبي – صلى الله عليه وسلم: "يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشعير أو التمر، لا يُبَالِيهِمُ الله بَالَةً[١]"[٢]. يصور هذه الحسرات قائلا:

دمع العيون على فراق مشالي	ما كان منبعه رحيل الغالي
إن الذي يبكيه يبكي نفسه	ماذا تركنا من عظيم فعالِ
سنقول في غدنا لمن قد يحسن	هل أنت في ذاك العطاء مشالي
إن كان فعل محمد أنموذجا	فاعلم بأنا في عظيم ضلال[٣]

---

(١) حُفَالة: (بضم الحاء المهملة، وتخفيف الفاء) هي الرذائل من كل شَيْء. وقوله: لا يباليهم الله بالة، أي: لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا. (ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العينى ٢٣/٤٤ – ط دار إحياء التراث العربي – بيروت (د.ت).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب/ الرقاق – باب/ ذهاب الصالحين – حديث رقم ٦٤٣٤. (صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ٩٢/٨ – تح: جماعة من العلماء – ط: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر ١٣١٤هـ).

(٣) قصيدة (نبع العطاء) لإبراهيم شبانة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في حين ترتكز معاني هذه الأبيات على الدرس المستفاد من رحيله، يأتي البيت الأخير في مرثية الأستاذ محمد ناجي معلنا أن فقد الطبيب مشالي كان شديد الوقع على نفوس البسطاء؛ لأنهم بعده لن يجدوا مثله يواسيهم قائلا:

محمدُ قد طَوَاكَ الموتُ عنَّا سِوَاكَ فمَا طبيبٌ للغلابَةْ

وفي هذا النسق من تصوير ألم فقد الفقراء للطبيب مشالي يقول إياد قزاز:

فهل من بعده نلقى طبيبًا يخفف عن عيادته السعالا
فبعد رحيله ظلّ الغلابة ومن بالرفق لانَ لهم تعالى

إياد قزاز هنا يستبعد أن يأتي طبيب مثل مشالي يخفف عن المرضى المعوزين آلامهم الجسدية والنفسية.

ويلاحظ في البيت الثاني أن ثمة قلق في الأسلوب، فلم يك سلسا في التعبير عن فكرته، بل تحتاج إلى تأمل وتأويل، فهو يقول:

فبعد رحيله ظلّ الغلابة ومن بالرفق لانَ لهم تعالى

الاستفهام في قوله: (ومن بالرفق لان لهم) يفيد النفي، والفعل: (تعالى) معطوف على الفعل: (لان) من دون حرف عطف، والمعنى: بعد رحيل الطبيب مشالي ظل البسطاء المقهورون من دون معين أو نصير يرفق بهم، ويتعالى ويسمو بأخلاقه ونبله كما كان يفعل الطبيب مشالي.

وإذا كان الأسلوب هو "طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"[١]؛ فإن القلق الذي اعترى أسلوب الشاعر في هذا البيت ينأى به عن الإيضاح والتأثير، فضلا عن أن البيت الثاني لا يضيف معنى جديدا زائدا عن معنى البيت الذي قبله، بل يكاد يكون هو المعنى عينه، وبأسلوب غير سلس.

ومن الشعراء من حلّق بخياله واصفا الموت عند زيارة الطبيب مشالي خجلا مترددا في قبض روحه الطاهرة، وقد لاحت في الأفق وجوه الفقراء مشفقة وجلة من رحيل طبيب الإنسانية، ولكن لا مناص من أمر الله، يقول إيهاب عبد السلام مصورا هذا المشهد الخيالي الوجداني:

أخالُ المماتَ وقد زارَه توقّفَ في خجلٍ مُعرضا
وجوهُ الغلابةِ لاحت له ولا بدّ من فعل أمر القضا

على هذا النحو من الخيال المحلّق بتصوير الغيبيات مستلهما مكانة الطبيب مشالي وانعكاسها على وجدان الشعراء، يصور الشاعر عبد الله الأسمري أبو مراد[٢] موكب رحيل الطبيب مشالي الذي أعده أهل السماء له بعناية فائقة، تليق بسمو إنسانيته وقوة إيمانه وصفاء زهده، فما أن سمعوا

---

(١) الأسلوب لأحمد الشايب – ص ٤٤ – ط مكتبة النهضة المصرية – الثامنة ١٤١١هـ ١٩٩١م.

(٢) عبد الله بن مليح الأسمري، وشهرته (عبد الله الأسمري أبو مراد) تخرج في قسم اللغة العربية بكلية الآدب بجامعة الملك عبد العزيز. يكتب الشعر الفصيح، عضو جماعة فرقد الإبداعية - التابعة لنادي الطائف الأدبي، والمشرف على ملتقى فرقد الرقمي. (ينظر: التعريف بالشاعر على صفحته الشخصية على موقع التواصل الاجتماعي (تويترtwitter) ، رابط:https://twitter.com/abumoradalasmar).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بقدومه حتى تراصوا على جانبي طريق الصادقين، محتفين به وقد أتاهم في بهاء وشموخ، تصحبه محاسنه وأنين المحبين في طريقه إلى جنة الخلد؛ ليهنأ في راحة أبدية تنسيه جهد السنين، وقد جاءت مقطوعته لتصوير هذا المشهد فقط، فيقول:

كأني بأهل السماء تنادَوْا ... إلى حيثُ بوابةُ القادمينْ
إلى حيث تُرفع أرواح مَنْ ... أعانوا فقيرا من العالمينْ
وهاهم على جانبي الطريق ... يحيُّون روحَ الطبيب الأمينْ
محمد مشالي وقد شيعته ... محاسنه والندا والأنينْ
إلى جنة الخلد يا محسنٌ ... أناخ المطية للمتعبينْ[1]

وهكذا جاءت مراثي الشعراء في الطبيب مشالي محملة بمشاعر الأنين لفقده، والحسرة على رحيله، والعبرة والتأسي بفضائله، وتعظيم منزلته ومكانته؛ لعلّ المرء يجتهد في التأسي به فيدرك منزلته وينال مكانته.

سابعا: مشالي وترحمات الشعراء.

خلق الله – عز وجل – الإنسان بفطرة سوية، يحب الصالحين ويأنس بذكر شمائلهم، ويترحم عليهم ذاكرا فضائلهم، وشعر الرثاء عماده ذكر المحاسن والفضائل، حتى إذا ما قضى الشاعر وطرا من تعدادها لم يجد بُدًّا من إخلاص الدعاء والتفنن فيه، وأحيانا يكون الدعاء للمرثيّ ممزوجا بذكر الشمائل تعليلا لاستحقاق الدعوات، واستنزالا لها عليه طلبا للمشاركة الوجدانية من المتلقي.

---

(١) قطعة بعنوان: (رثاء طبيب الغلابة محمد مشالي)، شعر وإلقاء عبدالله الأسمري أبو مراد، وهي من المتقارب، ومنشورة على (اليوتيوب)، عبر الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=fRlvtMjpkig

وهذا ما قامت به الدكتورة ريم الخشّ حيث مزجت بين الدعوات وأسبابها، فهي ترجو من الله أن تهبّ على الطبيب مشالي دعوات لا تنقطع ملء هذا الكون ودوامه؛ لأنه أهل لها بفعاله المضيئة، وقلبه العطوف الرحب رحابة رياض الجنان، ومحياه الصبوح الذي يبعث الأمل، تلك السجايا التي لا تقوم بوصفها بدائع الألفاظ ولا دقائق المعاني؛ فلتكن إذن دعواتنا له تترا:

عليه صلاة هذا الكون شكرا ... لما قد شعّ من نور مليحِ
ظلالٌ لا يوافيها قصيد ... ولا يعلو لمصدرها مديحي
ولو تُصغي أتاك سلامُ ربٍ ... على قلبٍ كروضته فسيحِ
على وجهٍ تنوّر من قبولٍ ... إلهيٍّ كَمَبْسَمِهِ الصبوحِ
يسنّ لنا دروبا من فلاحٍ ... خطى نهرٍ بلا لكْئٍ شحيحِ
يسن لنا خلاصا إنْ أرقنا ... جِرَارُ القلب في عمرٍ قبيحِ
لنجعل من تراحمنا كتابا ... به تُمحى معاناة الجروحِ[1]

وعلى هذا النسق يأتي بيتي الدكتور هادي فخر الدين مازجا دعاءه بالرحمة والمغفرة وأسباب تلك الدعوات، حيث إنه من الصادقين المخلصين الذين يعرف فضلهم كل الورى، بَلْهَ[2] الفقراءُ المحيطون به، وحسبه دعاء الفقراء إن نسيه أقرانه، فيقول:

---

(١) قصيدة: (طبيب الفقراء) للدكتورة/ ريم سليمان الخش.

(٢) بَلْهَ: اسم مرادف لكيف، مبنيّ على الفتح وما بعده مرفوع، ويأتي اسم فعل بمعنى دع واترك، يبنى على الفتح وما بعده منصوب. (ينظر: المعجم الوسيط ص٧٠، أشرف على إخراجه شعبان عبد العاطي عطية – أحمد حامد حسين – جمال مراد حلمي – ط مكتبة الشروق الدولية – الرابعة – ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رحم الإلهُ الصـــادقين بفضـــله وبقيتَ يُشْكَرُ في الورى مســـعاكَ
وبقيتَ يذكرك الفقيـــرُ بدمعـــه إن ضَلَّ أهلُ الطبِّ عن مغزاكَ[١]

ومن هذا النهج أيضا دعاء الدكتور عصمت رضوان معلـــلا اســـتحقاق مرثيّه صادق الدعوات بالنجاة في الآخرة جزاء ما قدّم في الدنيا مـــن خيـــر، ويكفيه أن الله تعلى حسيبه ومجازيه:

حسبُكَ الخيرُ في الحياةِ نجـــاةً حسبُكَ اللهُ يا طبيـــبَ الغلابَـــةْ

ومن الشعراء من ختم قصيدته بالدعاء فقط حيث كان فرغ من أفكـــاره التي عددت شمائله، ومن ذلك دعاء أحمد مكاوي للطبيب مشالي قائلا:

يا رب فارحمـــه وزده فرحـــةً بجوار طـــه المصـــطفى والآلِ

ومثله فعل عبد الله الأسمري أبو مراد[٢].

هكذا جاءت ترحمات الشعراء على الطبيب محمد مشـــالي نابعـــة مـــن وجدان صادق، وتقدير لفضله، وعرفان بحقه، وبلغة عذبة رقيقة.

***

كانت تلك جولة في المعاني والصفات التي رسمها الشعراء المعاصرون شعرا للطبيب الراحل محمد مشالي عليه شآبيب المغفرة والرضوان.

وباستقراء تلك الصفات وُجِد أن بعض الشعراء تناول أكثر من صـــفة، وبعضهم رسم صورة أو مشهدا واحدا؛ وذلك لأن كل شـــاعر يغـــرف مـــن مخزونه المعرفي بسيرة الطبيب مشالي.

---

(١) قصيدة: (رثاء طبيب الغلابة) للدكتور هادي فخر الدين،
*(٢) في قوله: (إلى جنة الخلد يا محسن ** أناخ المطية للمتعبين).*

كما لوحظ أن أكثر الصفات التي لفتت انتباههم هي: (المثالية)، وجاء التعبير عنها يحمل كثيرا من معاني الدهشة والاستغراب، دلّ عليه اشتراك جلّهم في استعمال صيغة (الاستفهام) بمعانيها المجازية التي منحت الخطاب الشعري رواء وثراء وتأثيرا، وهذا يدلّ – بفمهوم المخالفة، وقراءة النسق المضمر – على سيطرة الصورة الذهنية المترسخة في نفوس الناس من تغليب النسق العام لمقتضيات فئة الأطباء من هيئة اجتماعية، ومستوى مادي لائق بهم؛ فلما خرج مرثيهم عنه بقناعة وإيمان، حدا ذلك بهم للتعبير عن المثالية المتحققة فيه.

وهو الأمر ذاته الذي جعل حديثهم عن التواضع يتوازى مع المثالية، في إشارة إلى أن تواضعه الممزوج بالزهد كان عن امتلاك ومقدرة وحيثية تؤهله لمجالسة علية القوم، ولم يك عن عدم استطاعة، بل كان عن عفة وقناعة وإيمان واختيار؛ بدليل ثباته حتى مماته عن عمر بلغ أربعة وسبعين عاما، لم يهتم بزخرف الدنيا وزهرتها، رغم أنها أتته طائعة.

يتوازى مع هذه الصور حديث الشعراء عن عطائه، ودعواتهم له، ثم تصويرهم لقسوة الرحيل وأثره في النفس؛ إذ كانت هاتان نتيجة لتلك.

ثم قلّ عدد الشعراء المصورين لتأسي مرثيهم بنهج الأنبياء عليهم السلام، وملاحظة أوجه التلاقي، ولعل هذا راجع إلى أنه ملحظ دقيق، ومبني على معرفة سيرة الطبيب مشالي تفصيلا.

ثم يأتي تصوير برّه بأبيه وحفظه لوصيته ليرصدها شاعر واحد، سخر قصيدته لمدح هذا الطبيب ورصد مآثره، ولعل غياب هذه الصفة من شعر غيره لأنهم لم يعرفوها.

كانت تلك أهم النواحي في الدراسة الموضوعية، والتي تقود بدورها لرصد الدلالات الفنية الآتية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني
الدلالات الفنية لصورة الطبيب محمد مشالي في الشعر المعاصر

أولا: سيميائية الأنساق المضمرة.

السيمياء: العلامة[١]، وتدور مادة هذه الكلمة في المعاجم العربية حول معاني: العلامة، والأثر، والدلالة، والآية، والرمز، والتفرس، والمعلم، والجمال[٢].

وقد أكّد العقاد أن السيمياء كلمة عربية الأصل والدلالة[٣]، وظهرت السيميائية مع البنيوية منهجًا للدراسات الأدبية واللغوية كأحد حقول اللسانيات على يد الغرب، وأطلقوا عليها (السيموطيقا) كمصطلح انجلوساكسوني، أو (السيمولوجيا) كمصطلح فرنسي، وتعني: علم العلامات، أو علم يدرس أنساق العلامات والأدلة والرموز[٤]، وتلقف النقاد العرب هذا المنهج الذي يُعنى بدراسة العلامات التي يتضمنها النص، وأطلقوا عليه (السيميائية)، وعرّفها بعضهم بأنها "دراسة الأنماط والأنساق العلاماتية غير اللسانية، إلا أن العلامة

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١٢/٧ – تح/ عبد الحميد هنداوي – ط دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

(٢) ينظر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٣٢١/٧ – تح/ د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي – ط دار ومكتبة الهلال – (د.ت)، ولسان العرب لابن منظور، مادة: (و.س.م) ٦٣٥/١٢: ٦٣٨.

(٣) ينظر: بحث ألقاه العقاد بعنوان: (السيمية) في الجلسة الثالثة لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثامنة عشرة، وقرر المجمع في جلسة ١٩٥٢/٥/٢٥م استعمال كلمة السيمية. ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية ١٤/٩ – ط مجمع اللغة العربية – القاهرة – ١٩٥٧م.

(٤) ينظر: مناهج النقد المعاصر لصلاح فضل ص١٢١: ١٢٢ – ط ميريت للنشر – القاهرة – الأولى – ٢٠٠٢م.

في أصلها قد تكون لسانية لفظية، وغير لسانية غير لفظية"[١]، وغاية الأمر هو محاولة الناقد التفرس في النص الأدبي للوقوف على الإشارات والرموز التي يتضمنها النص.

وبالنظر في النماذج الشعرية المختارة عن الطبيب الراحل محمد مشالي، يمكن الوقوف على الأنساق المضمرة الآتية:

١ـ سيميائية تردد لفظة (الغلابة).

الملاحظ أن لفظة (غلابة) قد وردت في جل قصائد الشعراء المستشهد بشعرهم، وكان أكثر ورودها في عنوان القصيدة، في إشارة تداولية[٢] لمضمونها المعرفي عند المتلقي، وإسقاط على حال العوام في المجتمع؛ حيث إن لفظة (غلابة) عامية، ويقصد بها: المساكين، أو المغلوبين على أمرهم، أو المقهورين. وهي جمع لكلمة (غلبان) العامية كذلك.

وبالبحث في المعاجم اللغوية عن مادة (غ.ل.ب) لم يرد استعمال (غلبان) ولا الجمع (غلابة) في الاستعمال الفصيح، وإن كان مضمون المعنى عند العوام يقترب من مضمون الأصل اللغوي لما تدور حوله مادة (غ.ل.ب).

فقد ورد أن "الغين واللام والباء أصل صحيح، يدل على: قوة وقهر وشدة"[٣]. و"تَغَلَّبَ على بلد كذا: استولى عليه قهرا"[٤]، و "مغلوبٌ على أمره:

---

(١) دروس في السيميائيات لمبارك حنون ص٢٩ – ط دار توبقال – الدار البيضاء – المغرب – ١٩٨٧م.

(٢) التداولية: علم يقصد به دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره. (ينظر: التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي ص١٦ – ط دار الطليعة – بيروت – الأولى ٢٠٠٥م.

(٣) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٣٨٨/٤ – تح/ عبد السلام محمد هارون – ط دار الفكر – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٦٥٢/١ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لا يستطيع تنفيذَ ما يريد. غلَب عليه الكرمُ: صار الكرمُ من أكبر خصاله وأبرزها، فكأنّه أصبح لا يستطيع إلاّ أن يكون كريمًا"[١].

هكذا تتماس الدلالة اللغوية المعجمية مع الدلالة العامية الدارجة للاشتقاق العامي غير القياسي؛ إذ إنّ (غلبان) صفة مشبهة من الفعل (غَلَبَ)، وجَمَعَها العوام على (غلابة)، إذ (الغلبان) – كما عند العوام – هو الذي قهره شدة الفقر، فأصبح لا يملك من أمره شيئًا.

ولعل العوام قاسوا ما جاء على (فَعْلان) صفة، وجمعُه على (فَعَالى)[٢] كحيران وحيارى، فقالوا: غلبان وغلابى، ثم أبدلت الألف المقصورة تاء تأنيث فصارت غلابة.

وباستقراء القصائد التي ورد فيها لفظة (غلابة) لوحظ ورودها عند كل من:

١- الدكتور عصمت رضوان، وقصيدته بعنوان: طبيب الغلابة، وجاء فيها:

حسبُكَ الخيرُ في الحياةِ نجاةً حسبُكَ اللهُ يا طبيبَ الغلابَةْ

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/١٦٣١.

(٢) "فَعْلانُ: إذا كانَ صفةً وكانَ لَهُ (فَعْلَى) كُسّرَ علَى (فُعال) نحو: عَطْشَانَ وعُطاشٍ وقد يكسرُ علَى: (فَعَالى) و(فِعَال) نحو: سَكارى". (الأصول في النحو لابن السراج ٣/٢٤ – تح: عبد الحسين الفتلي – ط مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت – د.ت). وتستعمل صيغة (فعلان) صفة مشبهة من الفعل اللازم المكسور العين قياسا، بشرط أن يدل على الامتلاء، وأن يكون المؤنث على (فَعْلى). (ينظر: بحث: صيغة فعلان واستعمالاتها في اللغة العربية لمصطفى أحمد النماس – بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – المجلد ٣٩ – ص ١٠٦ – ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).

٢- الأستاذ إيهاب عبد السلام، وقصيدته بعنوان: طبيب الغلابة د. محمد مشالي، وجاء فيها:

وجــوهُ الغلابــةِ لاحــت لــه ولا بد من فعل أمــر القضــا

٣- الأستاذ محمد ناجي، وقصيدته بعنوان: طبيب الغلابة، وجاء فيها:

محمدُ قد طَوَاكَ المــوتُ عنَّــا سِوَاكَ فمَــا طبيــبٌ للغلابَــةْ

٤- الأستاذ إياد قزاز، وقصيدته بعنوان: طبيب الغلابة .. من شاعر الغلابة، وجاء فيها:

وداعا مِــلْءَ أفئــدة الغلابــة وداعا يمــلأ الكــون ابــتهلا

وقوله:

فبعــد رحيلــه ظــل الغلابــة ومن بالرفق لان لهم تعــالى

٥- أحمد مكاوي، وقصيدته بعنوان: طبيب الغلابة، ووردت في العنوان فقط.

٦- عبدالله الأسمري أبو مراد، وقصيدته بعنوان: رثاء طبيب الغلابة محمد مشالي، ووردت في العنوان فقط.

فهذا الإلحاح على استعمال لفظةٍ عامية، في شــعر نُظِــم بالفصــحى، ولشعراء أغلب الظن أنهم يعيون أن اللفظة لم ترد في الاستعمال الفصيح، فيه دلالة على البُعد التداولي، والصلة بين مَن قيلت فيه القصيدة والمتلقــين مــن جهة، وبين المبدع والمتلقي من جهة أخرى، حيث روعي مــا اشــتهر بــه الطبيب محمد مشالي عند المتلقين، ولا يخفى ما في هذا من تقريب المقصــد والغرض.

وقد يكون في الاستعمال العامي إسقاط على العوام بأنهم دوما في انتظار من يمدّ لهم يد العون، ولا يسعون للتغيير، فكانت لفظة (غلابة) تحمل سيمياء

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التقريب والإسقاط معًا، سيّما وقد استعملها شاعران ليسا مصريين، أحدهما: إياد قزاز، وهو من الأردن، الذي غيّر لقبه من (شاعر من الشارع) إلى (شاعر الغلابة)، في محاولة للمشاكلة[١] مع عنوان القصيدة، والآخر: عبد الله الأسمري أبو مراد، وهو من الطائف، المملكة العربية السعودية.

٢ـ تشبيه القلب بالشمس.

شبهت الدكتورة ريم سليمان الخش قلب الطبيب محمد مشالي بالشمس كإشارة لشمول عطفه المعوزين، كما تشمل شمس الشتاء المحتاجين للدفء، وهذا النوع من العطف والحنو عزيز غير وفير، وهو تشبيه غير معتاد، فقالت:

وقلبٌ كالذُكاء يفيض دفئا يُدثّرُ كلّ خفّاقٍ جريحِ

والذُكَاءُ، بضم أوله، كما ورد في المعاجم اللغوية هو: "اسم الشمس، معرفة لا ينصرف، ولا يدخلها الألف واللام، تقول: هذه ذُكَاءُ طالعةٌ"[٢].

فإذا عُرف أن الشاعرة درست وتقيم في فرنسا، وكتبت هذه القصيدة هناك[٣]، فسيستنتج أن تشبيهها غير المعتاد مستوحى من طبيعة المكان الذي تقيم فيه؛ إذ حاجة الناس في فرنسا للشمس قوية حيث الشتاء القارص، فيتطلع

---

(١) المشاكلة: "هي ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته تحقيقا، أو تقديرا". (بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي ٤/ ٥٨٨ – ط مكتبة الآداب – السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

(٢) لسان العرب لابن منظور – المجلد الثالث ١٧/١٥١٠.

(٣) يدل على هذا ما ورد في عنوان القصيدة المنشورة في جريدة عالم الثقافة الإلكترونية، ما نصه: طبيب الفقراء د. ريم سليمان الخش / فرنسا. (ينظر: موقع جريدة عالم الثقافة الإلكترونية، رابط: https://www.worldofculture2020.com).

إليها الجميع، وينتظر سطوعها، كما ينتظر قاصدي الطبيب مشالي سطوع عطفه ورقة قلبه.

والدكتورة ريم كما لجأت إلى تشبيه غير معتاد يرمز إلى طبيعة المكان الذي تعيش فيه، كذلك استعملت اللفظة (ذُكاء) استعمالا غير فصيح، فألحقتها الألف واللام، وصرفتها، والصواب أنها معرفة لا تنصرف، ولا يدخلها الألف واللام[١].

٣ـ تفاعل شعراء من بلدان عربية مع الطبيب مشالي.

يلاحظ أن تفاعل قرائح الشعراء مع الطبيب مشالي لم يك قاصرا على المصريين فقط، بل رثاه شعراء من بلدان عربية شقيقة، فكان من الأردن: إياد قزاز، ومن المملكة العربية السعودية: عبد الله الأسمري أبو مراد، ومن سوريا: الدكتورة ريم سليمان الخش، وفي هذا إشارة إلى أن الطبيب الراحل محمد مشالي يمثل أنموذجا مثاليًّا فريدًا تتفق عليه الإنسانية في أي مكان وزمان، وكما يوحي ذلك بالتقدير والتكريم، فإنه يومئ بالندرة زمانا ومكانا.

٤ـ تشبيه الطبيب مشالي بالنبي صلى الله عليه وسلم.

شبه الأستاذ محمد ناجي عطف الطبيب مشالي على الفقراء بعطف الرسول – صلى الله عليه وسلم – على الصحابة رضوان الله عليهم، في قوله:

مَشالي كنتَ للفُقَرا نَبِيًّا فتَأْسُوهُمْ وهُمْ مِثْلُ الصَّحابَةْ

ولعل هذا التشبيه لمشالي بالنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – والمرضى بالصحابة الكرام – رضوان الله عليهم أجمعين – يعكس دلالة

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور – المجلد الثالث ١٧/١٥١٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مضمرة تتوارى خلف التشبيه، وهي الإيحاء بأن الطبيب مشالي ظاهرة فريدة قد تكون آخر الظواهر من نوعها، ظاهرة تُعْجِبُ وتُبْهِرُ لكن لا يُنْتَظر تكرارها، وهذا فيه ما فيه من المبالغة.

ثانيا: دلالات الظواهر الأسلوبية:

تتجلى بقوة بعض الظواهر الأسلوبية في النصوص الشعرية عن الطبيب محمد مشالي، هذا التجلي يحمل دلالة فنية يريد المبدعُ إيصالها إلى المتقي، وإلا كان تكرارها عبثا ينأى بالمبدع عن حقل الإبداع الأدبي، ومن ثم يجدر بهذه الدراسة رصد تلك الظواهر الأكثر وضوحا ورودا في أساليب الشعراء، وبيان دورها البارز في إنتاج الدلالة المرادة لدى الشاعر، وقدرتها على تكثيف مستوى البث الجمالي لتجربته الفنية.

١- أسلوب الاستفهام.

غير خفي ما يسهم به الاستفهام في تنبيه المتلقي وتفاعله مع النص، لا سيما حين يتجاوز معنى طلب العلم بالشيء إلى معان أخرى مجازية تمنح الخطاب الشعري رواء وثراء، ويسهم في فهم معاني النص وجلاء صوره.

وقد ورد الاستفهام ظاهرة أسلوبية فيما كتب شعرا عن الطبيب مشالي، ومن ذلك ظاهرة الخطاب الحجاجي بأسلوب الاستفهام لدى الدكتور عصمت رضوان في قصيدته: (طبيب الغلابة) وقد بدأها بعدة استفهامات تحمل في طياتها دلالة مجازية حجاجية، يقول:

ذلكَ النهرُ؟ أم غياثُ السحابَةْ؟ أم ملاكٌ للخيرِ يفتحُ بابَهْ؟
أم كتابٌ حوَى صحائفَ نورٍ وحكايا عن مكرماتِ الصحابَةْ؟

لقد عمد الشاعر إلى آلية الحجاج، ويقصد بالحجاج: "تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة"(١)، فلجأ إلى تقنيةٍ إجرائية يطرح بها أدلته ليصل إلى فكرته، مقنعًا بها متلقيه، فاستعمل أسلوب توالى الاستفهام في المطلع، حيث تكرر الاستفهام أربع مرات، في أولاها: يشبه مرثيّه بالنهر في فيض عطائه، وفي ثانيها: يشبهه بالمطر في قوة دفقه وغوثه وجمّاع خيره، وفي ثالثها: يصوره ملاكا مكفولا بالخير، ثم في رابعها: يشبهه بكتاب صحائفه من النور يحوي قصص الصحابة – رضي الله عنهم – وفضائلهم، حتى إذا ما تملكت الحيرة المتلقي أيّ تشبيه يختار، فالمرثي جدير بها جميعها، حينئذ يأتي الجواب لإقناع المتلقي:

إنهُ المرءُ حينَ يغدو مثالًا وسؤالًا .. تعزُّ عنهُ الإجابةْ

استخدم الشاعر تقنية الاستفهام وسيلة من وسائل الخطاب الحجاجي، موظفا إياه لاستثارة ذهن المتلقي، وتوجيهه حيث أراد؛ ليصل إلى التأثير والإقناع، فقد أفاد توالي الاستفهام، ثم الإجابة عنه، تأكيد استحقاق الطبيب مشالي لجميع تلك الصفات، وأضاف إليها المثالية التي تعجز عن الوفاء بحقها أي إجابة، ليذهب ذهن المتلقي كل مذهب في تأكيد استحقاق المرثيّ كل تلك الصفات وأشباهها، ولا يخفى ما في هذا الخطاب الحجاجي من دلالة جمالية وقيمة فنية للأبيات والقصيدة معا، خاصة أنها جاءت في الاستهلال.

كما جاء الاستفهام متواليا في قصيدة: (مشالي نبع العطاء) للشاعر الأستاذ إبراهيم شبانة، مما يدل على كونه ظاهرة أسلوبية لديه، وفيها يقول:

---

(١) اللغة والحجاج للدكتور أبو بكر العزاوي ص١٦، ط العمدة في الطبع – الدار البيضاء- الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بالله كيف غلبت نفسك والهوى كيف انجذبت لفطرة الأطفال

ويقول:

أوليس ينزغ قلبك الشـــيطان فتقول أولى بذي النقود عيالي

ويقول:

كيف انعزلت عن الحياة نعيمها كيف ارتقيت لهمـــة الأبطـــال

أوليس يغريه غنى الأتـــراب أوليس يطمح للمقـــام العـــالي

ويقول:

إنّ الذي يبكيه يبكـــي نفســـه ماذا تركنا من عظـــيم فعـــال

سنقول في غدنا لمن قد يحسن هل أنت في ذاك العطاء مشالي

يتكرر أسلوب الاستفهام لدى الشاعر إلى حد مجيئه تســع مــرات فــي القصيدة، بين التقرير، والإنكار، والتعجب، والاستخبار، حيث يقرر الشاعر ما يثبت للطبيب الراحل من صفات: مغالبة النفس، وفطــرة الأطفــال، ونــدرة الحال، والعزلة عن نعيم الحياة، ثم الاستفهام الانكاري لينفي عنه الاســتجابة لزهرة الحياة الدنيا، ثم يتعجب الشاعر مستخبرا كيف استطاع مرثيه الزاهــد أن ينعزل عن نعيم الحياة وبريقها ومغرياتها، ويعد الشاعر تلك المغالبة هِمّة وبطولة تستحق الإكبار والإجلال، وكذلك تستحق أن تكون أنموذجــا وتــذكر قدوة، ويشبه بها من يحذو حذوه، حتى ليصير مشالي اسما موفقا فــي عــالم الأسماء، ولقبا يوسم به من يتحلّى بتلك الصفات الزاهدة والراقية.

ولعلها تلك الصفات التي جاء بها أسلوب الاستفهام لدى الشاعر حنفــي عبد العزيز في قصيدته طوبى لنهجك، التي يقول فيها:

أى الكواكبِ قــد أَتَتْــكَ لأرضِــنا؟ فى عصرِنا المحكــومِ بــالأموالِ
بِفعالِكمْ، يا سيــدى أدهشــــــــتنا فى عصرِ قرصنةِ المبادئِ والفِعَالِ
فالشعرُ يعجزُ أنْ يصــوغَ حُروفَــهُ فى وصفِ ديدنِكمْ، وحارَ خَيَــالي
ماذا أقولُ؟ ومــاذا أكتــبُ دُلَّنــى؟ عزَّ المدادُ على الإجابــةِ للســؤالِ
أَعَنِ الضميرِ أصوغُ بَيتَ قصيدتي؟ وضمائرٌ تَتْرى تموتُ ولا تبــالي

فهو يستفهم متعجبا: أي الكواكب العلوية قد ألقت بمرثيّه الزاهــد إلــى الأرض؟ بعد أن أنكر عليه الشاعر أن يكون من أهل كوكبه أو زمانه، وإنما هو من كوكب وزمان آخرين.

وفي ختام استفهاماته المتوالية في القصيدة يستنكر الشاعر على قلمه أن يفي بمداد يعبّر عن جميل صفاته وطيب فعاله، على ما يفيده أسلوب الاستفهام من إتمام الصورة، وتكثيف دلالاتها، ووضوح معانيها، فضلا عــن اســتثارة ذهن المتلقي وتعاطفه مع مرثيه، وكذا تفاعله مع النص وصاحبه.

٢- أسلوب النداء:-

يأتي النداء من أهم أساليب الإنشاء غنى بالدلالات الوجدانية والإمكانات التعبيرية، فضلا عن تلك المعاني الوضعية لأدوات النداء، التي كثيــرا مــا تتجاوزها لإفادة نوع من الخطاب المجازي تمنح النص رواء وثــراء، ومــن أكثر ما يدل على ذلك في الشعر عن الطبيب مشالي، تكــرار النــداء (تســع مرات) لدى محمد فايز اللحامي، في قصيدته (رجل من الزمن الجميل) فــي قوله:

تقديرنا لك يا مشالي ينجلــي بتحيــةٍ تُبْقِيــه لحــن أغــاني

وقوله:

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لك يا ميشالى تحيـــة تتـــزين بـــــالعز والإجـــــلال والعرفـــــان
بالفخر نهديها إليـــك تـــوددا يا أنقى من ســـارت بـــه قـــدمان
الآدمية يـــا مشـــالي ترتقـــي – بعد التدني – نهجك الروحـــان

وقوله:

ندر المثيلُ لنهجـــك بزماننـــا يا واحـــدا لا مثلـــه بزمـــاني
يا مؤثرا تزكو الحياة بغرسك ويضيء فيها الجانب النوراني
يا مغريا للممســـك ومعلمـــا بتواضعٍ معنى العطاء الحانى

وقوله:

وتفوقُ غيرك يا طبيب بأنك فوق التداوي ماسح الأحـــزان

وقوله:

لي يا طبيب الفضل كنت القـــدوة هبة السماء لبسمة الحزنـــان

جاء النداء بالاسم: (يا مشالي) ثلاث مرات، وبالصفة ست مرات، منها: (يا طبيب) مرتان، وأربع مرات: (يا أنقى)، (يا واحدا)، (يـــا مـــؤثرا)، (يـــا مغريا).

فالشاعر يؤكد نداءه الطبيب الزاهد واصفا إياه في كل مرة من نداءاتـــه بوصف يفي بمعنى من معاني الرقي، والندرة، والسمو، والتواضع، والإيثار، والإنفاق، والإحسان، والقدوة الحسنة، وغيرها من معاني الخير.

وتكرار النداء بالأداة (يا) فيه دلالة توحي بالقرب النفســـي والمعنـــوي، وربما الحسي بين الشاعر ومناداه الطبيب الزاهد، وما من ريب في أن إلحاح الشاعر على تكرار النداء بالأداة ذاتها يعد ترسيخا وتأكيدا في ذهن المتلقي لما خلع على ممدوحه من أوصاف، إذ توحي بالقرب الوجداني.

كذلك تكرر النداء (ست مرات) في قصيدة (طوبى لنهجك د. محمد مشالي) للأستاذ حنفي عبد العزيز حسين خليفة، بما يدل أنه ظاهرة أسلوبية لديه، وأحيانا يتكرر النداء في البيت الواحد مرتان، فنجد النداء في قوله:

طوبى لِنَهجِكَ الميمونِ أَيَا مَشَالى يا مَنْ تربعَ بالوفاءِ على المعالى

وقوله:

بِفعالِكمْ، يا سيدى أدهشتنا فى عصرِ قرصنةِ المبادئِ والفِعَالِ

وقوله:

يا ليتَهم يوعونَ درسَ جنابِكمْ يا أروعَ الأفعالِ والأمثالِ

وقوله:

ستظلُّ نَهْجًا يا مشالى يُحتذى بالدينِ والدنيا ربحتَ بلا جدالِ

فهو يدعو له بالجنة، ويصفه بالوفاء والتسامي، ثم هو يناديه سيدًا مدهشًا صاحب قيم ومبادئ جاء في غير أوانه، وكأنه جاء من كوكب آخر إلى زماننا الذي بات تحكمه المادة والقلوب القاسية، على ما يمنحه تكرار النداء لتلك الصور من حرص الشاعر على أن تصل نداءاته إلى كل المتلقين، ومن قبلهم كل الأطباء، لعلهم يحذون حذو مرثيّه الزاهد صاحب الأيادي البيضاء على كل قاصديه.

كما يأتي النداء أربع مرات في قصيدة: (طبيب الغلابة) للشاعر الدكتور عصمت رضوان، مصرحًا باسمه مرتين: (يا مشالي)، وبوصفه مرة: (يا نفحة)، وبشهرته مرة: (يا طبيب الغلابة)، في قوله:

يا مشالي.. وهلْ كقلبكَ قلبٌ يسعُ الكونَ كلَّه في الرحابةْ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقوله:

يا مشالي.. يا نفحةً مــن نســيمٍ طاهرِ الصفوِ ، عبقريِّ النجابَــةْ

وقوله:

حسبُكَ الخيرُ في الحيــاةِ نجــاةً حسبُكَ اللهُ يــا طبيــبَ الغلابَــةْ

وكذلك جاء النداء في قصيدة الشاعر أحمد مكاوي، التي يبكي فيها رحيل الطبيب مشالي، غير أنه يتوجه بالنداء إلى المتلقين ويقول:

يا باحثين عن الأصالة في الدُنا هذا به نطقــوا الــورى بجمــالِ

ثم يختم بالدعاء قائلا:

يــارب فارحمــه وزده فرحــةً بجــوار طــه المصــطفى والآلِ

يلاحظ في قوله: (نطقوا الورى) أن الشاعر يستعمل لغة تعــرف عنــد النحويين بلغة (أكلوني البراغيث)، وهي لغة قليلة الاستعمال؛ لأن فيها اجتماع الظاهر والمضمر معا، ومثلوا لها بمثال: (أكلوني البراغيث)، وهــي تُلحــق الفعل علامة التثنية أو الجمع مع ظهور الفاعل، خلافا للمشهور لدى جمهــرة العرب في كون الفاعل إذا كان اسما ظاهرا مثنى أو جمعًا فإن جمهور العرب يفردون الفعل اكتفاء بدلالة الفاعل على التثنية أو الجمع، وهي لغــة بعــض القبائل العربية، مثل: طيء، وقيل هي لغة " أزدشنوءة " أو بلحارث، وجاءت عليها شواهد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة(١).

---

(١) يرجع في هذا (شرح الأشموني على ألفية ابن مالك للأُشْــمُوني ٣٩٢/١ – ط دار الكتــب العلمية بيروت– لبنان – الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م)، و (النحو المصــفى لمحمــد عيــد ص٤٠٢ – ط مكتبة الشباب – الأولى ١٩٧١م).

كذلك جاء النداء بحذف أداء النداء لدى الشاعر محمد ناجي في قصيدته: (طبيب الغلابة) مصرحًا باسم الطبيب محمد مشالي مرتين، في قوله:

مَشـــالي كنـــتَ للفُقَـــرا نَبِيًّـــا فتَأْسُوهُمْ وهُـــمْ مِثْـــلُ الصَّـــحابَةْ

وقوله:

محمدُ قد طَوَاكَ المـــوتُ عنَّـــا سِـــوَاكَ فمَـــا طبيـــبٌ للغلابَـــةْ

هذا الحذف لأداة النداء يوحي بدلالة شدة قرب المنادى، بحيث لا يحتاج إلى وسائط.

وباستقراء حضور أسلوب النداء في القصائد التي تجلّت فيهـــا صـــورة الطبيب محمد مشالي، يلاحظ أن النداء بالتصريح باسم الطبيب محمد مشـــالي تكرر عشر مرات، ثماني مرات (يا مشالي) في ثلاث قصائد[١]، و (مشالي) و (محمد) بحذف الأداة مرة واحدة لكل منهما في قصيدة واحدة[٢]، والتصـــريح بالاسم يدل على القرب النفسيّ والحسيّ ومحاولة تقريب الخطـــاب للمتلقـــين بالمشاركة الوجدانية وربما الحسية.

ثالثا: دلالات استلهام التراث.

الشاعر عبد الله الأسمري أبو مراد في تصويره رحلـــة صـــعود روح الطبيب مشالي إلى جنة الخلد يتناص[٣] مع الأحاديث النبوية الواردة في حال

---

(١) هي: قصيدة: رجل من الزمن الجميل لمحمد فايز اللحامي، وقصيدة: طبيب الغلابة للدكتور عصمت رضوان، وقصيدة: طوبى لنهجك د. محمد مشالي لحنفي عبد العزيز حسين خليفة.

(٢) هي قصيدة: طبيب الغلابة لمحمد ناجي.

(٣) "التناص يعني: أن يتضمن نص أدبي ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي، وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل". (التناص نظريا وتطبيقيا لأحمد الزعبي ص١١ – ط مؤسسة عمون للنشر والتوزيع – عمان/الأردن – الثانية – ٢٠٠٠م).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الروح بعد فراق البدن، في محاولة لتصوير رحلة الإنسان من الموت إلى البرزخ، فقال:

كأني بأهل السماء تنادوا ... إلى حيث بوابةُ القادمين
إلى حيث تُرفعُ أرواحُ مَن ... أعانوا فقيرا من العالمين
وها هم على جانبي الطريق ... يحيون روح الطبيب الأمين
محمد مشالي وقد شيعته ... محاسنه والندا والأنين
إلى جنة الخلد يا محسن ... أناخ المطية للمتعبين

فهذا الخيال المحلق في تصوير مشهد حفاوة أهل السماء بالصالحين، يستوحيه من الحديث النبوي الشريف الذي جاء فيه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، قال: فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج، ثم يُعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقولون: مرحبا بالنفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، قال: فلا يزال يقال لها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل...."[1].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٧٧/١٤ : ٣٧٨ – تح/ شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون – إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي – ط مؤسسة الرسالة – الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

وغير خفي أن استلهام الشعر لهذا المشهد من الحديث النبوي فيه دلالة على تزيين الخير في النفوس، وبث روح القدوة والأسوة الحسنة، مع تأكيد الهوية الإسلامية.

كذلك الشاعر إياد قزاز يصور ما هو منفّر في عُرف الناس، بصورة محببة تبث الجمال وتنشر الطيوب، وذلك في قوله عن هيئة الطبيب مشالي المتواضعة التي تنمّر بها بعض ضعاف النفوس:

تجلّى فيك معنى الحب حتى رأينا في انحناءتك الجمالا

فلعل الشاعر هنا يتناص مع الفكرة العامة لقصيدة "أبي الحسن الأنباري في محمد بن بقيّة وزير عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة ابن بويه لمّا صلبه عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه عند خلع بختيار، وهي من نوادر المراثى، والقصيدة مطلعها:

علوّ في الحياة وفي الممات لحق أنت إحدى المعجزات"[١]

فلعل الشاعر يستلهم من التراث فكرة تزيين القبيح عُرفا، بالتنبيه على دقائق المعاني الجميلة المتوارية في الخُلق والمكانة بين الناس، فالناس تراه بعيون قلوبهم التي أحبت صنيعه معهم، ورأت فيه الجمال متجسدا في إنسان.

رابعا: دلالات العاطفة.

هذا الشعر ينتمي إلى شعر المناسبات، وقد كثر نقاش النقاد حوله بين منصف ومتحامل؛ لأن الشاعر لا يصدر فيه عن دافع منبعث من الأعماق، وإنما يستجيب إلى دعوة من الخارج يسخّر لها ملكته.

---

(١) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ٥/٢٢٤ – ط دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة – الأولى ١٤٢٣هـ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لكن المنجز الإبداعي يؤكد أن الشاعر قد يستثمر مناسبة ما ليقول فيها ما تجود به قريحته، وكثيرا ما تكون المناسبة مجرد إثارةٍ وحافزٍ للشاعر، وسببًا مباشرًا للإبداع، ونقطة انطلاق وحسب، وما الشعر في أصله إلا مناسبات وبواعث؛ لأنه لا يُفتعل افتعالا(١).

والملاحظ أن الشعراء المستشهد بشعرهم ليس فيهم صديق أو قريب للطبيب مشالي؛ لذا فلم يك رثاؤهم أو مدحهم مفتعلًا أو من قبيل شعر المناسبات الذي استهجنه بعض النقاد، وإنما كان منبعثًا من عاطفة صادقة.

وقد تمثَّل في رثائهم إظهار محاسن المرثيّ، وبعض العبر والعظات المستوحاة من سيرة صاحب المرثاة، عسى يتأسَّى بها الشاعر أو يعظ بها غيره، ويرغّب في انتهاج نهج المرثي، ومنهم من استشرف ما بعد الموت ليزيد من دافع التأسي، وقد لوحظ التأثر بالنهج القديم في قصائد الرثاء؛ بإخلاص الدعاء للمرثي، ولكن من غير إظهار الجزع والحزن الشديد.

كما لوحظ في قصيدة المدح نأيها عن المبالغة في محاسن الممدوح، أو خلع عليه محاسن ليست فيه، وما ذاك إلا لأن العاطفة هنا صادقة بعيدة عن أي هوى؛ فما لها من دافع إلا صدق المشاعر والإحساس، وليس أدل على هذا من أنهم جميعهم سمعوا عن الطبيب مشالي من وسائل الإعلام، ولم تك بينهم وبينه أدنى صلة، ويدعم ذلك أن بعضهم ليسوا مصريين.

---

(١) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب لعبد الله الطيب المجذوب ٧٤/٣ – ط دار الآثار الإسلامية– وزارة الإعلام الصفاة – الكويت – الثانية سنة ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م. و بحث بعنوان: شعر المناسبات نظرة منصفة للدكتورة إخلاص فخري عمارة – مجلة: دراسات عربية وإسلامية – العدد ١١ – ص١٧٦ – ١٩٩٢م.

خامسا: دلالات الإيقاع.

باستقراء البحور المنظوم عليها القصائد المختارة عن الطبيب محمد مشالي، وجد أن بحر الكامل يتصدرها بواقع خمس قصائد، ثم الوافر ثلاث قصائد، ثم المتقارب قصيدتان، وأخيرا الخفيف قصيدة واحدة.

كما لوحظ أن هذه البحور استخدمها الشعراء تامة، كاملة المقاطع الصوتية أو التفاعيل؛ وذلك لأن الشاعر في حال الحزن يحتاج إلى وزن طويل كثير المقاطع ليصب فيه أشجانه وفيض مشاعره، فناسبت البحور التامة المعاني الوفيرة المشحونة في الفؤاد.

كذلك لوحظ أن أغلب القصائد المنتقاة ليست طويلة، وبعضها مقطوعات، وفيما يلي بيان بالقصائد وعدد أبياتها مرتبة تنازليًّا حسب عدد الأبيات:

عنوان القصيدة	قائلها	عدد أبياتها	عدد القصائد	البحر
رجل من الزمن الجميل	محمد فايز واعر اللحامي	٣٢	١	الكامل
مشالي نبع العطاء	إبراهيم شبانة	١٩	١	الكامل
طبيب الغلابة	د. عصمت رضوان	١٣	٢	الخفيف
طبيب الفقراء	د. ريم سليمان الخش			الوافر
طبيب الغلابة	محمد ناجي	١٠	٣	الوافر
طبيب الغلابة	إياد قزاز			الوافر
طوبى لنهجك د. مشالي	حنفي عبدالعزيز حسين خليفة			الكامل
طبيب الغلابة	أحمد مكاوي	٩	١	الكامل
طبيب الغلابة د. مشالي	إيهاب عبد السلام	٥	٢	المتقارب

طبيب الغلابة محمد مشالي	عبد الله الأسمري أبو مراد			المتقارب
رثاء د. مشالي	د. هادي فخر الدين	٤	١	الكامل

فيلاحظ أن القصائد التي تتراوح بين تسعة أبيات وثلاثة عشر بيتا شكلت أغلب القصائد، وجاءت ثلاث قصائد مقطوعات، وفي هذا ترجيح للرأي الذي يرى أن النظم ساعة الانفعال النفسي، وفي غرض الرثاء تحديدا، يميل إلى التقليل من الأبيات، وتخير الوزن الطويل كثير المقاطع(١).

أما القصيدة الوحيدة التي جاءت في ثنتين وثلاثين بيتًا فهي في غرض المدح ومعرض التكريم، والذبّ عن الطبيب مشالي، وغرض المدح "أجدر به أن يكون في قصائد طويلة وبحور كثيرة المقاطع"(٢)؛ ليتمكن الشاعر من عرض الدفقات الشعورية والمعاني الوجدانية والأفكار والحجج التي يدحض بها رؤية الخصم، فناسب ذلك أن تكون القصيدة طويلة.

كما يلاحظ أن أغلب البحور المنظوم عليها هي بحور ذات تفعيلات متماثلة، أو ذات تفعيلة واحدة، وهي الكامل، والوافر، والمتقارب، وبما أن هذه القصائد تنتمي إلى شعر المناسبات، فيناسبها النظم على البحور السهلة التي تفعيلاتها متشابهة؛ إذ لا تحتاج إلى رويّة أو مزيد تمرّس وتمكّن لتأتي الدفقات الشعورية متسقة مع النغم الموسيقي.

أما بحر الخفيف فقد جاء النظم عليه في قصيدة واحدة، ولأنه بحر ثنائي التفعيلة، وينتمي إلى طائفة البحور المركبة أو الممتزجة، فإنه بحر يستطيعه

---

(١) ينظر: موسيقى الشعر لإبراهيم أنيس ص١٧٥ : ١٧٧ – ط مكتبة الأنجلو المصرية – الثانية ١٩٥٢م.

(٢) السابق ص ١٧٦.

المتمرس المُفْلَق؛ لتناسب دفقاته الشعورية المنسابة مع تجاوب الموقف الإنساني الذي انفعل به الشاعر.

يلاحظ كذلك أن كل القصائد موضوع الدراسة عمودية على البحور الخليلية، وفي هذا ثمة إشارة إلى أن شرف الغرض وجديته يستلزم شرف الكلمة وسمو النغم وأصالته.

هذا عن البحور ودلالاتها على الحالة النفسية واتساقها مع العاطفة.

أما القافية، فيلاحظ أن الغالبية جاء فيها حرف الروي[١] مكسورا، وهذا يتجاوب ويتناسق مع حالة الحزن، ويوحي بألم الفقد.

كذلك جاءت كل القوافي مطلقة[٢]، وهذا يتسق مع الأنين، ويلائم إطلاق الزفرات والعبرات، حيث امتداد الصوت يوحي بالتنفيس عمّا ألمّ بالنفس من كربة وألم، ودلالة على عِظم المصاب.

سادسا: سمات البُعد الإلكتروني.

يتميز الأدب المتجلي إلكترونيا بسمات تميزه عن الأدب الورقي، وهي تضفي عليه مزيدا من التأثير في المتلقي.

منها استخدام الصورة لتوضيح الفكرة للمتلقي، والاكتفاء بها عن الكلام أو الإحالة، كدلالة رمزية في فهم فضاء التجربة.

---

(١) الروي: "هو الحرف الذي يلزم تكراره في نهاية كل بيت". موسيقى الشعر العربي للدكتور حسني عبد الجليل يوسف ١/١٤١ – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٩م.

(٢) القوافي المطلقة: "هي التي يكون فيها الروي متحركا". موسيقى الشعر للدكتور إبراهيم أنيس ص٢٥٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

من ذلك الاستعانة بالصورة للدلالة على مناسبة النص، أو المقطع من القصيدة، وهو ما نجده في قصيدة: (رجل من الزمن الجميل)، التي استعمل فيها ما يُعرف بالأدب الرقمي، وهو: "ذلك الأدب السردي أو الشعري أو الدرامي، الذي يستخدم الإعلاميات في الكتابة والإبداع، أي يستعين بالحاسوب أو الجهاز الإعلامي من أجل كتابة نص أو مؤلف إبداعي"(١).

وذلك عندما يوجه صاحب القصيدة رسالة إلى إحدى الناشطات على موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوكFacebook)، وقد نشرت على حسابها منشورا يتنمّر بالطبيب مشالي، قائلا:

ورسالتي لسفيهة قد نهّقت ... الرفس من تربية الحيوان
فالورد إن ذبل ومات أريجه ... ما شوكه إلا أظافر جانى
فاحذر تقي الفعل رث الهيئة ... ذاك المنفر صورة بمكان
بنت البلى من صورة لا تهزئي ... فجمالك الفتان للأكفان
إن كنتِ أخلق فاصنعي بقناعة ... مَصْنُوعَهُ في السر الإعلان
لكن مريض النفس أعمى كي ترى ... أنوار أخلاق به العينان(٢)

يلاحظ أن الشاعر في هذا المقطع من القصيدة يستعين بالأدب الرقمي لإيصال الفكرة إلى المتلقي، سيّما أن الأدب الرقمي أدب متعدد الوسائط، يتكون من الصوت، والصورة، والنص، والحاسوب، ويخضع لعلاقات تفاعلية مباشرة وغير مباشرة(٣)، فإن الشاعر في (الفيديو) الذي أنشد فيه هذه القصيدة

---

(١) الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق للدكتور جميل حمداوي ص١٥.
(٢) قصيدة: رجل من الزمن الجميل لمحمد فايز واعر اللحامي.
(٣) ينظر: السابق ص ١٧.

كان يصاحب صوته وصورته بصور للطبيب مشالي تتسق مع مضمون الفكرة التي يعرضها وتؤكدها، وعندما يأتي إلى هذا المقطع من القصيدة – وهو الأخير – يرفق صورة ضوئية لمنشور نشرته إحدى الشخصيات على موقع (فيسبوكFacebook)، وقد علقت على صورة الطبيب مشالي متنمرة به قائلة: "هو إيه اللي جاب سيرة الراجل المبقع المقطع طبيب الوكسه"(١).

فكان ردّ الشاعر على بذاءتها في المقطع مصحوبا بصورة لمنشورها بمثابة إعلان عن مناسبة هذا الجزء من القصيدة، فأغنت الصورة المصاحبة لصوت الشاعر عن ذكر المناسبة، وأوحت بالمراد من الأبيات، فجاءت الأبيات مع الصورة والصوت بليغة في الدلالة على المراد، وقامت التكنولوجيا الرقمية مقام الإحالة والتبيين في النص المكتوب في ديوان بالشكل الورقي المألوف والمعهود.

إذن تلقّي الصورة يتضافر مع تلقّي النصّ، ويمدّ المتلقي بدلالات تعين على فهم فضاء التجربة.

***

(١) يراجع: فيديو قصيدة: رجل من الزمن الجميل – رابط: https://www.youtube.com/watch?v=iVrAzHptxc

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

غاية الفن التأثير في المتلقي، وكلّما تعاضدت عوامل عدة بهدف التأثير كان أثرها في المتلقي أوقع وأمكن؛ لأن النوافذ متعددة: الكلمة بإيحاءاتها وشعريتها ووهجها، والنغم بجرسه، والصورة الرقمية بإيحاءاتها وجمالها، والنغم الرقمي (الموسيقى) بتأثيره الوجداني، كل ذلك يساعد المتلقي على تمثّل الصورة الشعرية والعاطفة، فينقلنا إلى الحديث عن التجربة الشعرية عند المتلقي وليس المبدع، إذ تتوحد الغاياتان بفعل الوسيط الإلكتروني.

وهذا ما نلمسه في نص (رثاء طبيب الغلابة)، حيث يوظف الشاعر الصورة مع الموسيقى مع الإلقاء ليشيع حالة شعورية نقية عند المتلقي.

وفيما يلي عرض لمقصوصات ضوئية من هذا العرض المرئي (فيديو)[١]، مع محاولة لتحليل خطاب النص والصورة والموسيقى والإلقاء:

هذه صورة للبيت الأول مقتطعة من (الفيديو)، يلفت انتباه المتلقي أن الشاعر يعرض نص البيت مكتوبا ومصحوبا بصورة لتوضيح معنى البيت، حيث بوابة، وسماء زرقاء، وسحب بيضاء، ودرجات سلالم تقود إلى البوابة، وهذا يوضح معنى البيت: (كأني بأهل السماء تنادوا .. إلى حيث بوابة القادمين).

---

(١) يراجع (فيديو) قصيدة: (رثاء طبيب الغلابة محمد مشالي)، شعر وإلقاء عبدالله الأسمري أبو مراد، عبر الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=fRIvtMjpkig

ثم يأتي البيت الثاني (إلى حيث ترفع أرواح من .. أعانوا فقيرا من العالمين):

حيث صورة باب مفتوح، أمامه أعشاب خضراء؛ لتوحي بأن الروح القادمة على عتبات الجنان.

ثم يأتي البيتان الثالث والرابع مصحوبان بصورتين للطبيب الراحل محمد مشالي؛ لأنهما يتحدثان عن فعاله التي أوصلته إلى عتبات الجنان.

ثم يأتي البيت الخامس والأخير حيث الغاية والمأوى: (إلى جنة الخلد يا محسن .. أناخ المطية للمتعبين).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فتتراءى صورة سلالم متصاعدة حتى نهاية الإطار العلوي للصورة، على جانبيها ورود وأعشاب خضراء، وتحتها نهر أزرق اللون صافٍ، على ضفته أعشاب خضراء، والجانب الآخر غير مرئي إذ الماء الأزرق ممتد إلى ما لا نهاية؛ لتوحي الصورة برمزيتها، مع الإلقاء، مع الموسيقى، إلى تمثل المعاني المطروحة في البيت (إلى جنة الخلد يا محسن) حيث النعيم المقيم، والخلود في الفردوس لأنه قدّم الإحسان في دار الفناء.

إن هذا التضافر لعدة عوامل مجتمعة يحقق التأثير في المتلقي، والتفاعل مع التجربة، وهذا ما لم يكن ليتحقق إلا باستخدام التكنولوجيا، حيث تتعاضد الصورة والموسيقى مع الكلمات والإلقاء لتضفي على النص بُعدًا جماليًّا للتعايش مع التجربة الفنية، فالكلمات عذبة وموحية، وموسيقاها لها رنين وأنين، والأداء الصوتي مع الموسيقى الخافتة كخلفية للنص، لتنقل هذه العناصر مجتمعة المتلقي إلى حالة شعورية من الصفاء والتمثل للتجربة، حيث وضع الشاعر لكل بيت من المقطوعة صورة تتلاءم مع المعنى وتزيده وضوحا في مخيلة المتلقي، وهنا تتضافر هذه العناصر لإثراء التجربة عند المتلقي.

***

ومن استخدام الصورة مع النص الإبداعي، تلك الصورة التي أرفقتها د. ريم سليمان الخش مع قصيدتها، ونشرتها على حسابها الشخصي على (فيسبوك).

الصورة توحي بأن الطبيب الراحل أحد العلامات الدالة على مصر، مثل الأهرامات، أو لعله امتداد لحضارة عريقة.

ولقد كان لهذه الصورة تأثير في تعليقات المتلقين/المتابعين لصفحة الدكتورة ريم على (فيسبوك)، فأحد المتابعين يعلق على القصيدة قائلا: "عاش هرما .. ومات ومآثره هرم آخر .. رحمه الله وأحسن إليه بقدر ما أحسن .. وأحسن إليك شاعرتنا الماجدة"[١].

وهنا يلفت الانتباه تأثير الوسيط الإلكتروني على المتلقي للنص الشعري، حيث أثرّت الصورة على اتجاه تفكير المتلقي، فجاء تعليقه مشاكلا للصورة، ومستقيا من وحيها.

***

١ يراجع المنشور على صفحة الدكتورة ريم الخش عبر الرابط :
ttps://www.facebook.com/rim.alkhash/posts/3018958528213998

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أيضا، من سمات الوسيط الإلكتروني أنه يمكّن المبدع من تعديل نصّه بالإضافة أو الحذف بعد نشره في أحد المواقع الالكترونية، أو صفحات التواصل الاجتماعي.

فمثلا، الأستاذ محمد ناجي أجرى تعديلا بالإضافة على قصيدته: (رثاء طبيب الغلابة)، فبعد نشرها في موقع: (بوابة الشعراء الإلكتروني) بتاريخ: ٣٠ / ٧ / ٢٠٢٠م، الساعة ٦:١٢ صباحًا، أجرى تعديلا بإضافة ثلاثة أبيات بعد البيت الأول[١]، بتاريخ ٣١ / ٧ / ٢٠٢٠م، الساعة ٣:٤٨ مساءً.

***

ثمة أمر آخر يفرضه الوسيط الإلكتروني بحكم (الصداقة الافتراضية) التي تربط بين المبدع والمتلقي؛ فبتتبع تعليقات المتلقين للقصائد المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) أو (يوتيوب)، وُجد أن التعليقات في الغالب تدور حول الإطراء العام للقصيدة والمبدع، مثل: سلم يراعك، ودام ألقك. أو هذا هو الشعر ورب الكعبة، أو أنتم الناس أيها الشعراء. وقد يكون هذا النمط من التعليق من ناقد مشهور، ولكن الصداقة الافتراضية عبر الوسيط الجديد تفرض مجاملة ما، تختلف نسبتها من شخص لآخر.

وقلما تكون التعليقات جادة وناقدة، أو تحمل وجهة نظر في الأبيات، من مثل تعليق أحد المتابعين لصفحة الدكتور عصمت رضوان على (فيسبوك)، فقد علق على بيت في قصيدته، وهو:

---

(١) هذه الأبيات الثلاثة سبق ذكرها ودراستها في ثنايا البحث في المبحث الأول، تحت عنوان: (مشالي وتواضع الكبار)، فلا حاجة لتكرارها. وهذا التعديل منصوص عليه في موقع بوابة الشعراء، رابط: https://poetsgate.com

أم كتابٌ حوَى صحائفَ نــورٍ وحكايا عن مكرماتِ الصحابَةْ

فقال: "جميل يا دكتور، ولكن ما رأيك لو قلت: وكرامات من عصــور الصحابة؛ لأن معنى المكرمة كما تعلم غير الكرامة"(١).

فأجابه الدكتور عصمت رضوان قائلا: " بــارك الله فيــك .. الــوزن الشعري تصلح معه (مكرمات)، والمكرمة: اسم جامع لفعــل الخيــر، أمــا (كرامات) فهي تصلح معنى، لكنّ الوزن يأباها .. جزاك الله خيرا، وكل عام أنتم بخير وصحة وسعادة"(٢).

وهنا يلاحظ التفاعل الحي والسريع بين المبدع والمتلقي بفضل الوســيط الجديد.

كذلك، تعليق أحد المتابعين على مقطوعة الأستاذ/ إيهاب عبد الســلام، التي جاءت في خمسة أبيات فقط، فقال: "رائعة، ولكن يستحق أبيات وأبيــات حتي تفي حقة وتشمل كل مكارمه .. اللهم تقبله وعمله وأســكنه الفــردوس الأعلى"(٣). ولا يخفى أن النقد هنا ممزوج بالمجاملة.

وآخر علّق قائلا: "نغم المتقارب ينساب شهدا رقراقا صافيا مــن فيــك، بورك فيكم مولانا الشاعر الكبير المبدع، ورحم الله الأسطورة"(٤).

---

(١) يراجع المنشور على صفحة الدكتور عصمت رضوان علــى (فيســبوك) عبــر الــرابط: https://www.facebook.com/esmat.radwan/posts/3214282205301036

(٢) يراجع: السابق.

(٣) يراجع المنشور على صفحة أ. إيهاب عبــد الســلام، علــى (فيســبوك) عبــر الــرابط: https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=1022045485208

(٤) يراجع: السابق.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كما يلاحظ أن المتلقي عبر هذا الوسيط الجديد لم يعد مستقبِلا سلبيًا، فهو يعبّر عن تفاعله مع النص المنشور في لحظة قراءته وبأشكال متنوعة، حيث يمكّن الوسيط الإلكتروني المتلقي من التعليق كتابة، كما سبق التمثيل لـــه، أو إبداء شعوره نحو النص بأحد الأيقونات الشعورية المتاحة (أيقونة إعجـــاب– دهشة – مَحَبة – غضب– حزن – مشاركة)، كل ذلك يتم بسرعة وسهولة.

ولكن تظل إشكالية معرفة مدى صدق هذا التفاعل، سواء أكان تعليقًـــا، أم باستخدام أحد أيقونات التعبير عـــن المشـــاعر، التـــي يتيحهـــا الوســـيط الإلكتروني، فكما أصبح النشر عبر الوسيط الإلكتروني سريعا وسهلا، فـــإن التلقي والتعليق بات سريعا وسهلا كذلك؛ لذلك غلب على التعليقات الإيجاز إذا كانت كتابة، أو استخدام أحد أيقونات التعبير الشـــعورية استســـهالا، أو لأن القريحة لا تسعف المتلقي بكتابة كلمات تليق بكاتبها، فيلجأ لأيقوانات التعبيـــر الشعورية خروجا من هذا الحرج، وهذا الإيجاز يعرّي التعليق الهـــادف مـــن سمة العمق والشمول، حيث يميل إلى الاقتصار على جانب واحد يلقي المتلقي الضوء عليه.

***

ويلاحظ كذلك أنه كلّما كان المبدع مشهورا، كان المتابعون لـــه كثـــر، وكانت التعليقات – بأشكالها في الوسيط الإلكتروني – موجزة وكثيرة، وتحمل المجاملة في الغالب، وتبعد عن الجدية، إلا في القليل النادر.

ويمكن الاستدلال على هذا بالقصائد المنشورة لكل من: (الدكتورة ريـــم سليمان الخش، والدكتور عصمت رضوان، والأستاذ إيهاب عبد السلام) على مواقع التواصل الاجتماعي؛ لما لهم من شهرة في الوسط الإبداعي.

فقصيدة د. ريم نشرتها على حسابها الشخصي على (فيسبوك)، وقد نالت القصيدة (٧١٠) تعبيرا شعوريا، و(٢٣٣) تعليقا، و(٧) مشاركات، ودارت التعليقات حول الإطراء والثناء، أو الدعوات للطبيب الراحل، أو الجمع بينهما، من مثل: "دمت بألق مبدعتنا" . أو : "رحم الله طبيب الغلابة العالم الجليل دكتور محمد مشالي رحمة واسعة، وأجزل له الثواب. دمتِ ودام عطر حرفك شاعرتنا الرقيقة والكاتبة المتألقة دائما د/ريم."[١].

وكذلك الأمر مع الدكتور عصمت رضوان، حيث بلغ عدد التعبيرات الشعورية (٥٠٩) تعبيرا شعوريا، و (٣٦٢) تعليقا كتابة، و(١١) مشاركة، ودارت التعليقات والتعبيرات في أغلبها حول الإطراء، والدعاء للراحل، أو كليهما، وقليل من النقد، وقد سبق ذكره آنفا.

والأمر ذاته مع الأستاذ إيهاب عبد السلام الذي حصد منشور مقطوعته على (٢١١) تعبيرا شعوريا، و(٣٥) تعليقا كتابة، و مشاركتين، وأغلبها لا يخلو من مجاملة وثناء، وترحم على الفقيد الطبيب مشالي عليه رحمات الله تترا.

وهذا يدل على أن الوسيط الجديد يفرض على المتلقي تأثيرا ما بحكم الصداقة الافتراضية، قد تكون مجاملة، وقد تكون نقدا جادا، ولكن يتسم بالإيجاز وعدم الشمول، وهذا لأن التعليق يكون فور القراءة السريعة، وما تسعف به اللحظة النقدية، وهذا يستوي فيه المتلقي والمبدع، الذي بدوره يردّ على تعليق المتلقي ردا موجزا أيضا.

---

(١) يراجع المنشور على صفحة الدكتورة ريم الخش عبر الرابط :
ttps://www.facebook.com/rim.alkhash/posts/3018958528213998

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هكذا اتسم النشاط الأدبي عبر الوسيط الإلكتروني بالسهولة والسرعة والتفاعل الحيّ المباشر، غير أنه لم يخل من آفة المجاملة، وقلة التعمق، واستغراق مناقشة كافة عناصر العمل الأدبي.

وآخر دعائي أن الحمد لله رب العالمين

الخاتمة

حمدًا لله وشكرًا، وعرفانًا بفضله وذكرًا، وصلاةً وسلامًا على خير الورى طُرًّا، وعلى الآل والصحب الكرام قدرًا.

أما بعد..

فتناول هذا البحث تفاعل الشعراء المعاصرين مع النموذج الإنساني النبيل الطبيب الراحل محمد مشالي، عبر الوسيط الإلكتروني، واتبعت فيه المنهج التحليلي، وقد تبين من خلال الدراسة ما يلي:

أولا: قدرة الشعر المعاصر على تصوير النماذج الإنسانية النبيلة، مستفيدا من تقنيات عصر الرقمنة.

ثانيا: الأدب عبر الوسيط الإلكتروني أتاح مؤثرات جمالية لم تكن فيه ورقيا.

ثالثا: باستقراء الصفات التي تناولها الشعراء المعاصرون في الطبيب الراحل محمد مشالي، تبيّن أن بعض الشعراء تناول مجموعة صفات، وبعضهم صفة واحدة، أو صور مشهدا واحدا، وذلك مرده أن كلا منهم يغرف من معين مخزونه الثقافي بسيرة مرثيهم.

رابعا: الأنساق المضمرة في استعمال لفظة: (غلابة) غير الفصيحة، تعكس بُعدًا تداوليًّا، يراعي حال المتلقي من جهة، وتسقط على ثقافة العوام التي تنتظر من يمد لها يد العون، من جهة أخرى.

خامسا: جاءت بعض التشبيهات مستوحاة من بيئة الشعراء موضع الدراسة.

سادسا: استعمل بعض الشعراء ألفاظا غير فصيحة، وأساليب يعتريها القلق.

سابعا: بدا أسلوبي (الاستفهام) و(النداء) ظاهرة أسلوبية ذات دلالة فنية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثامنا: تناصّ بعض الشعراء مع الحديث النبوي الشريف، والموروث الأدبي؛ ليضفي بظلال فنية تثري الصورة وتبدعها.

تاسعا: تأكد من الدراسة أن شعر المناسبات ليس كله غير منبعث من الأعماق، فقد يكون نقطة انطلاقٍ واتّقادٍ لقريحة الإبداع.

عاشرا: جاءت القصائد – موضع الدراسة – غير طويلة، وعلى البحور الخليلية التامة؛ لتوحي بأن النظم ساعة الانفعال النفسي وفي غرض الرثاء تحديدًا، يميل إلى التقليل من الأبيات، وتخير الوزن الطويل كثير المقاطع؛ لتعطي قدرًا من الرحابة لعرض مزيد من المعاني والأفكار.

حادي عشر: القصائد موضوع الدراسة كلها عمودية على البحور الخليلية، وفي هذا إشارة إلى أن شرف الغرض يستلزم شرف الكلمة وسمو النغم وأصالته.

ثاني عشر: الأدب المتجلّي الكترونيًّا أعطى تفاعلا حيًّا بين المبدع والمتلقّي.

ثالث عشر: بدا تأثير الوسيط الإلكتروني جليا في المتلقّي، سواء في التعليق على النصّ الأدبيّ، الذي غلب عليه الإيجاز، وقلة الاستقصاء، وعدم العمق غالبا. أو في المجاملة وعدم الحيادية من جراء الصداقة الافتراضية التي فرضها الوسيط الجديد.

التوصيات.

١- يفتح البحث مجالا لدراسة الأدب الرقمي، وتحولات النص والمبدع والمتلقي.

٢- كما يوصي بدراسة النقد الأدبي ومشكلات التلقّي في الأدب الرقمي.

فهرس المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

*** القرآن الكريم جل من أنزله**

- الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق لدكتور جميل حمداوي – ط مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع– الأولى ٢٠١٦م.
- الأسلوب لأحمد الشايب – ط مكتبة النهضة المصرية – الثامنة ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- الأصول في النحو لابن السراج – تح: عبد الحسين الفتلي – ط مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت – (د.ت).
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي – ط مكتبة الآداب – السابعة عشر: ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.
- التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي – ط دار الطليعة – بيروت – الأولى ٢٠٠٥م.
- التناص نظريا وتطبيقيا لأحمد الزعبي – ط مؤسسة عمون للنشر والتوزيع – عمان/الأردن – الثانية – ٢٠٠٠م).
- دروس في السيميائيات لمبارك حنون – ط دار توبقال – الدار البيضاء – المغرب – ١٩٨٧م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك للأُشْمُوني – ط دار الكتب العلمية بيروت– لبنان – الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.
- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري – تح: جماعة من العلماء – ط: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر ١٣١٤هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العينى – ط دار إحياء التراث العربي – بيروت (د.ت).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي – تح/ د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي – ط دار ومكتبة الهلال – (د.ت)، ولسان العرب لابن منظور.
- لسان العرب لابن منظور – ت: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي – ط دار المعارف – مصر –(د.ت).
- اللغة والحجاج للدكتور أبو بكر العزاوي – ط العمدة في الطبع – الدار البيضاء– الأولى ١٣٢٦هـ – ٢٠٠٦م.
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده – تح/ عبد الحميد هنداوي – ط دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- مدخل إلى الأدب التفاعلي لفاطمة البريكي– ط المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – الأولى ٢٠٠٦م.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب لعبد الله الطيب المجذوب – ط دار الآثار الإسلامية– وزارة الإعلام الصفاة – الكويت – الثانية سنة ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل – تح/ شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون – إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي – ط مؤسسة الرسالة – الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
- معجم أدباء مصر إعداد وتقديم مسعود شومان – ط الهيئة العامة لقصور الثقافة – الأقصر ٢٠٠٤م.
- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين إعداد مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين – ط مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري 2013م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل – ط عالم الكتب – الأولى ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

- المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أشرف على إخراجه شعبان عبد العاطي عطية – أحمد حامد حسين – جمال مراد حلمي – ط مكتبة الشروق الدولية – الرابعة – ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس – تح/ عبد السلام محمد هارون – ط دار الفكر – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- مناهج النقد المعاصر لصلاح فضل– ط ميريت للنشر – القاهرة – الأولى – ٢٠٠٢م.
- المنجد في اللغة والأعلام للويس معلوف وآخرين– قسم الأعلام ، أشرف على تحريره بولس براورز– ط دار الشرق– بيروت – الثالثة عشرة ١٩٨٦م
- موسيقى الشعر العربي للدكتور حسني عبد الجليل يوسف– ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٩م.
- موسيقى الشعر لإبراهيم أنيس– ط مكتبة الأنجلو المصرية – الثانية ١٩٥٢م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري – ط دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة – الأولى ١٤٢٣هـ.

الدوريات والمجلات العلمية

- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بحث: صيغة فعلان واستعمالاتها في اللغة العربية لمصطفى أحمد النماس – المجلد ٣٩ – ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة).
- مجلة دراسات عربية وإسلامية، بحث: شعر المناسبات نظرة منصفة للدكتورة إخلاص فخري عمارة–العدد١١– ١٩٩٢م، ط مكتبة الزهراء–عابدين–القاهرة.
- مجلة مجمع اللغة العربية، بحث بعنوان: (السيمية) لعباس محمود العقاد، ألقاه في الجلسة الثالثة لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثامنة عشرة – ط مجمع اللغة العربية – القاهرة – ١٩٥٧م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المواقع الإلكترونية:

- موقع الاتحاد الدولي للغة العربية، رابط:
https://members.alarabiahunion.org/%D8%B9%D8%B5%
- موقع العربية نت، رابط:
https://www.alarabiya.net/arab-and-world/egypt/
- موقع بوابة الشعراء، رابط: https://poetsgate.com
- موقع بوابة جريدة الأسبوع، رابط:https://www.elaosboa.news/124116
- موقع جريدة الراي المصرية، رابط :
https://elrayeg.com/Web/single_news/
- موقع جريدة الوطن الإلكترونية، رابط:
https://www.elwatannews.com/news/details/4976326
- موقع جريدة اليوم السابع، رابط:
https://www.youm7.com/story/2020/5/6/%D8%A7
- موقع جريدة عالم الثقافة الإلكترونية، رابط:
https://www.worldofculture2020.com
- موقع خزانة الأديب، رابط:http://khezanataladeb.blogspot.com
- موقع ديوان: قاعدة بيانات الشعر العربي والمترجم والاقتباسات، رابط:
https://diwandb.com/poet/%D9%85%D8%AD%D9%85%D
- موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، رابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/

الحوارات والبرامج التلفزيونية:

- برنامج: قلبي اطمأن الموسم الثالث – عن طبيب الغلابة، رابط الحلقة:
https://www.youtube.com/watch?v=LQ4U2LU6LaA

- حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (باب الخلق) للإعلامي محمود سعد – على قناة النهار الفضائية، رابط الحلقة :

https://www.youtube.com/watch?v=sjiQ93TJ1R8

- حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (ترينديغ) يذاع على قناة (BBC)، رابط الحلقة:https://www.youtube.com/watch?v=LRWgmmvZThM
- حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (زملكاوي) على قناة الزمالك – تقديم طارق يحيى – حلقة خاصة عن طبيب الغلابة – رابط الحلقة:

.https://www.youtube.com/watch?v=czw7ybApkH4

- حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (سهرة مع) تقديم الإعلامية داليا العلايلي – قناة الدلتا، رابط الحلقة:

https://www.youtube.com/watch?v=G6zkNsw2YnU

- حوار مع الطبيب محمد مشالي في برنامج (على مسئوليتي) يذاع على قناة (صدى البلد) الفضائية، رابط الحلقة:

https://www.youtube.com/watch?v=HQV0EKZcKfo

- حوار مع الطبيب مشالي في برنامج (صباح الورد) على قناة (تن TEN) الفضائية، رابط الحلقة:

https://www.facebook.com/TeNTVEG/videos/

مواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك Facebook)، و(تويترtwitter)، و(يوتيوبyoutube):

- صفحة أ. إيهاب عبد السلام، على (فيسبوك) عبر الرابط: https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=
- صفحة الدكتور عصمت رضوان على (فيسبوك) عبر الرابط: https://www.facebook.com/esmat.radwan/posts/321422

- صفحة الدكتورة ريم الخش على (فيسبوك) عبر الرابط : ttps://www.facebook.com/rim.alkhash/posts/301895852
- صفحة عبد الله الأسمري أبو مراد الشخصية على موقع التواصل الاجتماعي (تويترtwitter)، رابط: https://twitter.com/abumoradalasmar
- قناة الأستاذ إبراهيم شبانة على اليوتيوب، رابط: https://www.youtube.com/channel/UCoxn2wJ6OwKwIiB
- قناة الأستاذ محمد فايز واعر اللحامي على اليوتيوب، رابط:https://www.youtube.com/watch?v=iVrAzHptxc
- قناة الدكتور هادي فخر الدين على اليوتيوب، ربط:https://www.youtube.com/channel/UCjfUnSH2pBhdvJ
- قناة الشاعر أحمد مكاوي على اليوتيوب، رابط:https://www.youtube.com/watch?v=4Gsa38tmpBk
- قناة الشاعر إياد قزاز، على اليوتيوب، رابط: https://www.youtube.com/c/eyadqazzaz
- قناة الشاعر عبدالله الأسمري أبو مراد على (اليوتيوب)، عبر الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=fRlvtMjpkig

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	١٤٢٥٥
٢-	Abstract	١٤٢٥٦
٣-	المقدمة	١٤٢٥٧
٤-	التمهيد وفيه	١٤٢٦٠
٥-	أولاً: حياة الطبيب محمد مشالي	١٤٢٦٠
٦-	ثانيا: تمظهر الأدب إلكترونياً .. المفهوم والألوان والبُعد الفني.	١٤٢٦٣
٧-	المبحث الأول: تجليات الطبيب محمد مشالي في الشعر المعاصر	١٤٢٦٧
٨-	المبحث الثاني: الدلالات الفنية لصورة الطبيب محمد مشالي في الشعر المعاصر	١٤٢٩٦
٩-	الخاتمة	١٤٣٢٧
١٠-	فهرس المصادر والمراجع	١٤٣٢٩
١١-	فهرس الموضوعات	١٤٣٣٥